دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس

تحرير

د. محسن محمد صالح

المشاركون

د. إبراهيم أبو جابر

أ. إبراهيم عبد الكريم

د. بديع العابد

د. رياض حمودة ياسين

د. سامي الصلاحات

د. سلامة الهرفي البلوي

د. عبد الجبار سعيد

أ. عبد الله كنعان

أ. فادي شامية

د. محمد أكرم العدلوني

د. محمد عمارة

د. محمد عيسى صالحية

أ. محمود عواد

د. ناجح بكيرات

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الحملة الأهلية لاحتفالية عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩

الفصل الأول

أعلام مقدسية
الدور الثقافي والحضاري وترقية الفكر الإنساني

أعلام مقدسية
الدور الثقافي والحضاري وترقية الفكر الإنساني

د. محمد عيسى صالحية

مقدمة:

إذا كانت قضية القدس تُؤَزِّمُ الفِكر الإنساني وتضعه أمام حدوده وقُصوره في عصرنا الحاضر، فإنها كانت على مدى تاريخها مَعلَماً حضارياً مُشعاً. ومنارة أشرقت أنوارُها على كافة أنحاء المَعْمورة.

والمسلمون رُعاة المدينة وحُماتها أنبتوا فيها بيئة ثقافية رائدة تأصَّلت في علمائها وشيوخها وأُدبائها، فقدَّموا للإنسانية إبداعات علمية، كانت عاملاً في تقدُّم العلوم والفنون والآداب، عند كل الأمم التي تواصلت مع صُرّة العالم وملتقى أقطاره.

وهذا البحث يعرض لإنجازات خمسة من علماء القدس، ويلقي أضواء على دورهم الثقافي والحضاري في ترقية الفكر الإنساني، من خلال اللقاء الحضاري وانفتاحهم على الثقافات والحضارات الأخرى؛ إغريقية كانت أم يونانية أم مدنية غربية، دون الالتفات للأعراق أو الأجناس أو الأديان وإنما العلم وحده هو المقياس دون غيره.

هؤلاء الأعلام المقادسة هم:

- **ابن الهائم المقدسي**، المبدع في العلوم الرياضية.
- **مُجيرُ الدين العليمي**، صاحب النظرة الشاملة في البحث والنظر العلمي التاريخي.
- **خليل السكاكيني**، أحد رُوَّاد التربية في العصر الحديث.
- **محمد إسعاف النشاشيبي**، الداعية لاستيعاب التقدُّم العلمي الغربي والانفتاح على المدنية الحديثة (قلبٌ عربي وعقلٌ أوروبي).
- **عارف العارف**، واحد من جسور الاتصال مع الثقافة الألمانية والإنجليزية والفرنسية والتركية.

من معاهد بيت المقدس تخرَّج المئات من العلماء والأدباء والشيوخ والأطباء والمهندسين والفلاسفة وغيرهم ممن أثروا الفكر الإنساني بإنجازاتهم، وقدَّموا للحضارة الإنسانية من الروائع التي ستظلُّ خالدةً مع الأيام. غيرَ أنَّ هؤلاء الخمسة تفوَّقوا، وصاروا من شوامخ الأعلام في الثقافة والحضارة، فلنتعرَّف على دورهم وإنجازهم.

أولاً: ابن الهائم المقدسي:

هو أحمد بن محمد بن عماد الدين، شهاب الدين، أبو العباس، توفي سنة 815هـ/1412م، "حيسوب الزمان، وفرضي العصر والأوان" اللقب الذي أطلقه علماء عصره عليه، فقد كان مبدعاً مبتكراً في الرياضيات، وأطلق اسمه على العصر نسبةً إلى إبداعه الرياضي فقالوا عصر ابن الهائم، إذ فاق الأقران في ذلك. وانتهت إليه الرئاسة في الحساب والفرائض، ورحل إليه الدارسون من الآفاق، وسارت بمؤلفاته الركبان، وأخذ الناس عنه طبقة بعد طبقة[1]. ويُعدُّ من كبار علماء الرياضيات في العالم الإسلامي بلا منازع، وشيخ الإسلام، وشيخ علماء المقادسة في عصره[2].

ولد بالقاهرة، في حي القرافة الصغرى سنة 753هـ/1352م أو 756هـ/1355م، وبها نشأ، وتلقَّى علومه الأولية بمصر واشتغل وحصّل طرفاً صالحاً من الفقه[3].

ومن الشيوخ الذين درس عليهم:

- الشيخ عمر بن رسلان بن نصير البلقيني ت 805هـ/1402م، المحدث والفقيه والمفسر، وقد برع في جميع العلوم، وكان أحفظ الناس لمذهب الشافعي، وقد درس عليه الفقه والحديث والتفسير[4].
- جلال الدين الأميوطي، إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم ت 790هـ/1388م، مهر في الفقه والعربية والنحو، ودرس وأفتى وناب في الحكم، ودرس عليه ابن الهائم هذه العلوم[5].
- الشيخ علي بن عبد الصمد الجلاوي المالكي ت 782هـ/1380م، عالم بالفرائض والفقه والحساب والهندسة، وقد ذكر ابن الهائم في مقدمة الرسالة التي كتبها وعنوانها: عمل المناسخات بالجدول، "اعلم أن عمل المناسخات بالجدول هو من الصناعة البديعة العجيبة، تلقيتها من أستاذي أبي الحسن الجلاوي، ولم أرها مسطورة"... إلخ[6].

- الشيخ الحافظ العراقي، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن ت 806هـ/1404م، عالم بالنحو واللغة والقراءات والفقه وأصوله والغريب، وغلب عليه علم الحديث، وصف بفريد دهره ووحيد عصره، وشهد له بالتفرُّد في فنِّه أئمة وشيوخ وعلماء زمانه[7].
- وأورد السخاوي أن ابن الهائم قد سمع صحيح البخاري وأمهات كتب الحديث عن التقي بن حاتم[8].

في هذه البيئة العلمية تكونت شخصية ابن الهائم العلمية والفكرية، وغدا شاباً معروفاً بحبه للعلوم والاشتغال بها.

وتفيد بعض حرود مؤلفاته التي ما تزال مخطوطة بارتحاله من القاهرة إلى بيت المقدس قبل سنة 772هـ/1370م، ولّما يتجاوز العشرين من عمره. وفي القدس جمع نفسه على المطالعة والاشتغال بالعلوم؛ فبرع في الفقه والعربية والنحو والفرائض ومتعلقاتها وخاصة الحساب، واشتهر أمره بين شيوخ المقادسة، فانقطع للتدريس والإفتاء، ودرَّس في أماكن كثيرة في المسجد الأقصى ومدارس القدس الأخرى. وكان الشيخ زين الدين، أبو بكر بن عمر بن عرفات القمني المصري الخزرجي ت 833هـ/1429م يتولى تدريس المدرسة الصلاحية سنة 797هـ/1394م، واستمرت الوظيفة بيده وهو مقيم بالقاهرة، فاستناب ابن الهائم في تدريس الصلاحية، مدرساً للرياضيات والفرائض[9]. وعلا أمر ابن الهائم واشتغل بالتدريس في الصلاحية، حتى وفد إلى بيت المقدس العلاَّمة شمس الدين الهروي، محمد بن عطاء الله بن محمد الرازي ت 829هـ/1425م من وكان حنفياً، فرأى وظيفة التدريس في الصلاحية ومعلومها، ولم ير للحنفية شيئاً من تدريس الصلاحية، فسعى لدى نائب الشام الأمير نوروز، فأشركه في الوظيفة بنصف المعلوم (المرتب) مع ابن الهائم سنة 814هـ/1411م. ويفيد العليمي بأن شمس الدين الهروي قد تحوَّل إلى الشافعية ليظفر بالتولية[10]، ولولا معارضة أهالي القدس لفعلة الأمير نوروز لما ظفر ابن الهائم بنصف التولية بعد نزعها منه. وكان الشيخ زين الدين القمني، لما سمع بسعي ابن الهائم وأهالي القدس لإعادة ابن الهائم لوظيفة التدريس، يردد: أنت أحق بها من غيرك[11]، وكان يسكن في دارٍ في الزاوية الوفائية عرفت بدار معاوية، لأن معاوية بن أبي سفيان نزلها عند زيارته إلى القدس[12].

كان ابن الهائم شافعي المذهب، ذكرت له محاسن كثيرة، فقد كان قواماً بالحق، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، عنده ديانة متينة، ولكلامه وقع في القلوب[13]، وكان قد حجّ وجاور كما يستشف من تأليفه، شرح الأرجوزة الياسمينة في مكة سنة 789هـ/1387م. ويروى أن زين القمني ظلّ يسعى لإعادة ابن الهائم للتدريس استقلالاً، وأنه جهَّز توقيعاً إلى ابن الهائم، وكتبه بخطه، ولكن سلطان المماليك لم ينفذه فقد توفي ابن الهائم.

أصيب ابن الهائم بوفاة ولد نجيب له اسمه محب الدين، وصف بنادرة دهره ذكاءً وفطنةً وعلماً وذلك في شهر رمضان 800هـ/1397م فصبر واحتسب، وأظهر برداً لكبده عند فقد ولده[14].

وعلى الجانب الآخر فقد درس على ابن الهائم المقدسي جمٌّ غفيرٌ من الدارسين، إذ كان يُعدُّ رحلة الطالبين، ومقصد الطلبة والدارسين. احتل البعض منهم مقاماً كبيراً بين العلماء والشيوخ وكان منهم:

- القاضي زين الدين عبد الرحمن التميمي الشافعي ت 876هـ/1471م، فقد اشتغل بالنحو على الشيخ ابن الهائم[15].
- الشيخ تقي الدين، أبو بكر بن محمد بن يوسف القدسي الشافعي ت 856هـ/1452م، وأخذ عنه الفقه والنحو[16].
- زين الدين، ماهر بن عبد الله بن نجم الأنصاري المقدسي، المكنى بأبي الجود ت 867هـ/1462م، لازم ابن الهائم المقدسي واشتغل عليه في الفقه والنحو والفرائض والحساب والعربية[17].
- العلاَّمة الشيخ إسماعيل بن إبراهيم بن شرف الشافعي ت 852هـ/1448م، معيد المدرسة الصلاحية، الفرضي الحاسب، وعين فقهاء الشافعية، وأحد الأركان في بلده القدس الشريف، وقد شرح مصنفات شيخه ابن الهائم، وكان ملازماً له[18].
- برهان الدين الكركي، إبراهيم بن موسى بن مسعود الشافعي المقرئ ت 853هـ/1449م، أخذ عن ابن الهائم المقدسي في الفقه والنحو، فقد عرض نظم القواعد لابن الهائم على ناظمه ببيت المقدس ولازمه[19].
- الشهاب أحمد بن يوسف بن حمد بن أحمد الفرضي الحاسب ت 862هـ/1457م، وأخذ عن ابن الهائم المقدسي الفقه والفرائض والنحو، وحاكى شيخه بنظمه

أرجوزة في الفرائض سمَّاها المربعة، جاءت في 313 بيتاً، على أربعة أقسام؛ الفرائض، والحساب، والوصايا، والجبر، والمقابلة[20].

- محمد بن أحمد بن عثمان بن مقدِّم، شمس الدين البساطي ت 842هـ/1438م، الذي أخذ الفرائض والحساب عن ابن الهائم المقدسي، وغدا واحداً من كبار علماء عصره[21].

كما ذكر ابن حجر العسقلاني في تاريخه أنه لقي العلاَّمة ابن الهائم في بيت المقدس، وحضر مجالسه وسمع فوائده[22]. وروى عنه شمس الدين البرماوي، محمد بن عبد الدائم ت 831هـ/1427م، وقد عُيِّن سنة 830هـ/1426م مدرساً في الصلاحية وتولى نظرها[23]. وكذلك جمال الدين يوسف بن منصور المشهور بابن النائب المقدسي ت 866هـ/1461م، اشتغل بالفقه والنحو والحديث، وتفقه على العلاّمة ابن الهائم[24]. كما سمع منه الأبي، ثلاثيات البخاري وبعض التحرير في الفقه (نجاسة الخنزير)، وصيام ست شوال. وسمع منه ابن يعقوب، نظم القواعد وشرحها في النحو[25].

لقد أمضى ابن الهائم عمره في الدرس والدراسة والمطالعة والتأليف، يفتي ويدرس، وما عرف عنه سعي لنيل حظوة عند أمير أو سلطان، وما قبل صُرة أو هدية، وإنما كان عالماً عاملاً ومبدعاً ومبتكراً.

وتوفي ابن الهائم في العشر الأخيرة من جمادى الآخرة سنة 815هـ/1412م، ودفن بمقبرة مأمن الله، وقبره مشهور معروف على بضعة أمتار من البركة، وكان القبر مبنياً على شكل تابوت[26].

إبداعات ابن الهائم المقدسي ونظرياته:

ابتكر ابن الهائم نظريات جديدة في الحساب والجبر، منها نظرية في حساب الكفتين، ونظرية حساب الخطأين، وقد أخذ بهما العالم الرياضي المعاصر، كما أوجد طريقة الغربال لتمييز الأعداد الأولية عن الأعداد المُركَّبة، وهذا يمثل تطوراً كبيراً في علم الحساب[27].

وكان وما زال أهم إنجاز علمي لابن الهائم والذي طوَّر علم الرياضيات، واعتبر ترقيةً للفكر الإنساني الرياضي، كتاب ابن الهائم في الشباك، فقد ابتكر طريقةً لضرب الأعداد باستعماله لجداول تعرف بجداول التخت والميل، (الضرب بالشباك) وهي التي

تستخدم حتى وقتنا الحاضر. والكتاب ما زال مخطوطاً تحتفظ الخزانة العامة بالرباط بنسخة منه رقمها (2,430) 1,194 D بين الأوراق 69أ – 80أ.

ومثاله: لنضرب 5674 × 124 = 703576

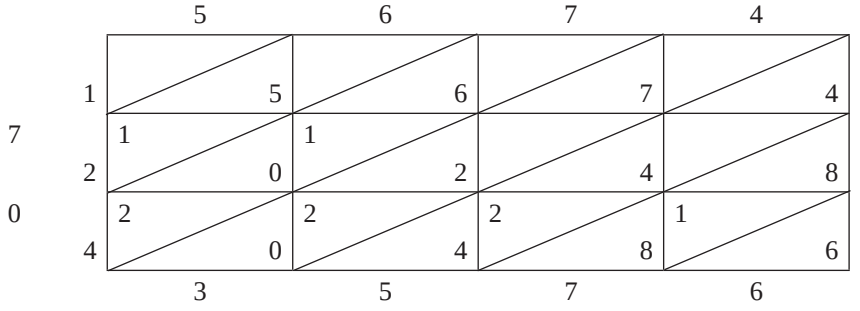

وطريقته:

- نرسم مستطيلاً ونقسمه إلى مربعات.
- يكون عدد المربعات في الاتجاه الرئيسي مساوياً لعدد أرقام أحد المضروبين.
- يكون عدد المربعات في الاتجاه الرئيسي الآخر، مساوياً لعدد أرقام المضروب الآخر.
- نقسِّم كل مربع إلى مثلثين، علوي وسفلي.
- نبدأ بالضرب من الأعلى بالرقم الأول.
- نسجِّل رقم العشرات في المثلث الأعلى.
- نُكرِّر العملية في الأرقام التالية.
- ثمّ نجمع بطريقة مائلة، فيكون الناتج هو الجواب.

لقد كان هذا الابتكار (الإبداع) سبباً رئيسياً لتطوُّر وتقدُّم العمليات الأربعة الحسابية، والتقطها غيّاث الدين جمشيد الكاشي، وطوَّر عمليات الشباك واستنتج نماذج جديدة لها وضُمِّنَ قواعد أثبتها في كتابه مفتاح الحساب، وما أحسب الشبكات الحاسوبية إلا وقد أفادت من إنجازات ابن الهائم والكاشي[28].

ومثال حساب الخطأين:

أوجد العدد الذي إذا أضيفت إليه ثلثاه وثلاثة كان الناتج 18 وحلها، بأن أعطى فرضاً أول، العدد هو 3 وتصرف حسب السؤال

$$3 + 3 \times \frac{2}{3} + 3 = 8$$

يكون الخطأ الأول $18 - 8 = 10$ ناقص

ثمّ فرض أن العدد هو 6 وتصرف بحسب السؤال

$$6 + 6 \times \frac{2}{3} + 3 = 13$$

الخطأ الثاني يكون $18 - 13 = 5$ ناقص

وعليه فالمحفوظ الأول $= 3 \times 5 = 15$

والمحفوظ الثاني $= 6 \times 10 = 60$

الفرق بين المحفوظين $= 60 - 15 = 45$

الفرق بين الخطأين $10 - 5 = 5$

وعليه فالجواب $= \frac{45}{5} = 9$ العدد.

ومثال حساب الكفتين:

ويمكن حل مسائل حساب الكفتين أو الكفّات، وطريقته أن تصور ميزاناً على الهيئة المرسومة، وتضع المفروض على قبته، وتتخذ إحدى الكفتين من أي الأعداد شئت، وتفعل في ذلك ما فرض من الجمع والحط إلى غير ذلك من الأعمال، ثمّ تقابل على القبة فإن أصبت فتلك القبة هي العدد المجهول، وإلا فانظر كيف تحل المسألة التالية:

مال جمع ثلثه وربعه، فكان 21، توضع على القبة، وفرض الأول 12، والثاني 24، وتصرف بالسؤال:

$$3 + 4 = 7$$

$21 - 7 = 14$ تحت الكفة

$$8 + 6 = 14$$

21 – 14 = 7 تحت الكفة الأخرى

ثمّ نضرب 14 × 24 = 336

7 × 12 = 84

ونطرحهما 336 – 84 = 252

252 ÷ 7 = 36 وهو العدد المجهول[29].

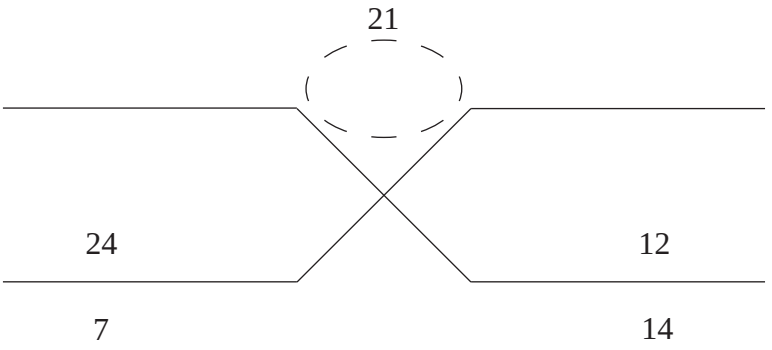

مصنفات ابن الهائم المقدسي:

وضع ابن الهائم العديد من المصنفات في العلوم الرياضية، الحساب والجبر والمقابلة، وصنَّف في الفرائض (حساب المواريث وقسمة التركات والوصايا)، والفقه وأصوله واللغة العربية والنحو والتفسير. وكان البعض منها قد جُعل للطلبة والدارسين في مراحل التعليم المختلفة، والبعض الآخر لذوي الاختصاص والعلماء وأكابر الشيوخ. واتسمت مؤلفاته التعليمية بمنهجية تربوية عالية إذ راعت تدرُّج التعليم من الأسهل إلى السهل إلى الأصعب فالمعقد، وفق أعمار التلاميذ ومستوياتهم العقلية والفكرية. أما النوع الآخر، فكان يُركِّزُ فيه على تنمية القدرات العقلية، وخاصةً الذكاء، ويطرح مسائل بالغة التعقيد للنظر والتفكير. أما مؤلفاته الفقهية فقد تصدّت للعديد من الأمور الفقهية الشائعة في المجتمع، والتي تتطلب حلاً، كالبدع والأزمة الاقتصادية في الدولة المملوكية نتيجة انتشار غش النقود وزغلها، وتوضيح وشروحات للمذهب الشافعي، ومثلها مصنفات في اللغة والنحو.

واللافت للنظر، بلوغ ابن الهائم المقدسي درجة الإبداع والابتكار على المستوى العالمي في الفكر الرياضي ووضع نظريات جديدة أسهمت في تقدم وترقية الفكر الرياضي الإنساني، وكانت نقلة نوعية دفعت البحث في الرياضيات: الحساب والجبر والمقابلة، دفعات مهمة إلى الأمام، وما زالت الدوائر العلمية الكبرى تُقِرُّ وتعترف بفضل ابن الهائم المقدسي على دراسات العلوم الرياضية كما أوضحناه في بحثنا سابقاً. ولا يوجد أبلغ من أهمية الإقرار بجهوده المبدعة، من رواج مصنفاته في العالم الإسلامي، مشارقه ومغاربه، واشتغال علماء الرياضيات لأكثر من ثلاثة قرون بشرح وتوضيح واختصار والتعليق وكتابة الحواشي على مصنفات ابن الهائم المقدسي، وخاصةً في علمي الحساب والفرائض والجبر والمقابلة.

وما زالت المكتبات العربية والتركية والأجنبية تحتفظ بالعديد من مصنفات ابن الهائم. وتباهي المكتبة الخالدية بالقدس بتراث ابن مدينتها، وتحتفظ بكتبه في خزانة خاصة به.

ومن مصنفاته في الحساب والفرائض والجبر والمقابلة نذكر:

1. **إبراز الخفايا في فن الوصايا:** وهي مناقشة لبعض مسائل الإرث، منه نسخة مخطوطة في إيرلندا، دبلن، مكتبة جستربيتي، رقم 4428.
2. **الأرجوزة الكبرى الألفية في الفرائض:** المسماة بالكفاية، وهي قصيدة وقعت في 1096 بيتاً، وقد شرحها ابن الهائم المقدسي في كتاب بعنوان: شرح الكفاية في الفرائض، في ثلاثة أجزاء ضخمة. ومنه نسخ مخطوطة في:
   - دار الكتب الوطنية بتونس رقم 881.
   - دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، رقم 23192ب.
3. **الأرجوزة الصغرى:** المسمَّاة بالنفحة القدسية في اختصار الرحبية في الفرائض، أو الألفية الصغرى، وهي منظومة في الميراث ومنها نسخ مخطوطة في:
   - مكتبة مدرسة الحجيات بالموصل رقم 266.
   - دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، رقم 3964ح.
   - دبلن، مكتبة جستربيتي رقم 6/3420 (مجاميع).

4. **ترغيب الرائض في علم الفرائض:** ذكره السخاوي، في كتابه الضوء اللامع، الجزء الثاني، صفحة 157.

5. **الجُمل الوجيزة في الفرائض:** ذكره السخاوي في كتابه الضوء اللامع، الجزء الثاني، صفحة 157. وانظر فهرس المخطوطات المصوَّرة، معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، الجزء الثاني صفحة 800.

6. **الحاوي في الحساب:** اختصار وتعليق وإضافة لكتاب تلخيص أعمال الحساب لابن البناء المراكشي، أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي ت 721هـ/1321م. حقَّقه وعلَّق عليه، رشيد عبد الرازق الصالحي وخضير عباس المنشداوي، طبعة بغداد، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي، 1988.

7. **رسالة في الحساب لدارسي أحكام الميراث:** يوجد منه نسخة في دبلن، مكتبة جستربيتي قرم 3469/ع (مجاميع). وانظر، كارل بروكلمان Carl Brockelmann، تاريخ الأدب العربي، الجزء الثاني صفحة 125، والملحق الجزء الثاني صفحة 154.

8. **شرح الأرجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة:** ألَّف عبد الله بن محمد بن حجّاج المعروف بابن الياسمين ت 600هـ/1204م منظومةً في الجبر والمقابلة تضمَّنت قوانين الجبر وأصوله. فشرحها ابن الهائم المقدسي، شرحاً وافياً، وأضاف إليها الكثير، حيث تناول في شرحه: بيان معاني الألفاظ التي يتداولها أهل هذا الاصطلاح، وبيان وجوه التصرفات في المقادير المجهولة، وبيان المسائل الست التي ينتهي الحاسب بالمعادلة إليها، وحل مسائل يرتاض بها من أحكم الأبواب الثلاثة لتحصل له ملكة تامة في استخراج المجهولات. وقد عُرِفَ عن ابن البناء المراكشي براعةٌ نادرةٌ في الهندسة والجبر والحساب والمنطق. ويبدو أن المؤلف وضعها في أثناء وجوده في مكة حاجاً أو معتمراً أو مجاوراً دارساً سنة 789هـ/1388م. ومنه نسخ في:

- إسطنبول، مكتبة كوبريلي زاده 947.
- إسطنبول، المكتبة السليمانية، خزانة لاله لي رقم 2134 و2/2738 (مجاميع).
- إسطنبول، المكتبة السليمانية، خزانة حفيد أفندي رقم 2/215.

- إسطنبول، مكتبة متحف التوب كابي سراي، رقم E.H. 2004, E.H. 19994, H. 299.
- دمشق، مكتبة الأسد، الخزانة الظاهرية، 3084 عام و9251 عام.

وانظر أيضاً كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الجزء الأول صفحة 471.

9. **شرح الجعبرية في الفرائض:** وهو شرح لكتاب برهان الدين، إبراهيم بن عمر الجعبري، أبو إسحق ت 732هـ/1331م، ذكره السخاوي في الضوء اللامع، الجزء الثاني صفحة 158.

10. **جداول الميراث الشرعي:** ذكره السخاوي في الضوء اللامع، الجزء الثاني صفحة 158.

11. **عمل المناسخات بالجدول:** (لعله المذكور سابقاً)، وصنفها أحدهم تحت عنوان: "كيفية صناعة المناسخات". قال في أوله: "اعلم أن عمل المناسخات بالجدول هو من الصناعة البديعية العجيبة تلقيتها من أستاذي أبي الحسن الجلاوي، ولم أرها مسطورةً في مصنَّف، وما زلت أعلّمها للطلبة كما تلقيتها، وكم سألوني أن أقيِّدها بالعبارة ليكتبوها مفردة، فلم يتيسّر ذلك، وقد دعت الضرورة إلى بيانه في هذا الشرح". ومنه نسخ في:

- إسطنبول، السليمانية، خزانة راغب باشا رقم 5/569، بغداد، مكتبة الأوقاف العامة، 1/2984.
- وانظر الرسالة المخطوطة بعنوان: رسالة في المناسخات، المكتبة الوطنية، تونس، منه نسخة مصوَّرة في جامعة اليرموك – قسم الوثائق والمخطوطات.

12. **غاية السُّول في الإقرار بالدين المجهول:** (أصول مسائل الإقرار بالدين المجهول الدوري)، بحث فيه 12 مسألة، وحلَّ كلاً منها في خمسة أوجه عددية، ووجه عن طريق الجبر والمقابلة، وآخر عن طريق حساب الخطأين، وهو الذي ابتكر هذا النوع من الحساب، وتتعلق ببعض مسائل الإرث عند عدم معرفة الأقارب الورثة، كتبها في 12 شوال 797هـ الموافق 1395/7/31م. ومنه نسخ في:

- إسطنبول، المكتبة السليمانية، خزانة راغب باشا رقم 2/569 وخزانة أسعد أفندي رقم 1/3159.

- دبلن، مكتبة جستربيتي رقم 4490.
- دمشق، مكتبة الأسد، الخزانة الظاهرية، 3077 عام.

وانظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الجزء الثاني صفحة 125، والملحق (إنديل)، الجزء الثاني صفحة 154-155.

13. **الغربال:** رسالة تبحث في وجه يستعمل لتمييز الأعداد المركَّبة عن غيرها، منه نسخة مخطوطة فريدة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد رقم 2/4437.

14. **الفصول المهمة في علم المواريث الأمة:** وهذا الكتاب يوجد منه نسخة في كل من:

- دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة رقم 2/1843ب.
- دار الكتب الوطنية، بتونس، رقم 1944.

15. **اللمع في الحساب:** ويتناول الضرب والقسمة والكسور، وفيها مُلَحٌ ونوادر رياضية، ومنه نسخ مخطوطة في:

- إسطنبول، جامعة إسطنبول، القسم العربي، رقم 1534. وتركيا، بالي كسير باغشلر.
- برلين، مكتبة غوطا، رقم 1482.
- بغداد، مكتبة الأوقاف العامة، رقم 4/5501.
- بغداد: مكتبة المتحف العراقي، 15/11220، 25 و6/27433.
- دمشق، مكتبة الأسد، الخزانة الظاهرية، فيها ست نسخ 3085، 3089، 5262، 6666، 9515، 8408 (عام).
- دبلن، مكتبة جستربيتي رقم 1/3231، 2/3362.

16. **المبدع:** وهو مختصر لكتابة المعونة في صناعة الحساب الهوائي، الذي سيشار إليه لاحقاً، وهو المختصر الثاني، منه نسخة في خزانة راغب باشا، بالمكتبة السليمانية، رقم 1458.

17. **مرشدة الطالب إلى أسنى المطالب في علم الحساب:** وقد بحث فيه الأعداد الصحيحة والكسرية بالإضافة إلى الجذور، وهو كتابٌ تعليمي، وقد شرحه

محمد بن عبد الله بن علي الشنشوري ت 999هـ/1591م، ومنه العديد من النسخ المخطوطة في:

- المتحف العراقي، رقم 13565.
- المكتبة الأزهرية في القاهرة، رقم 4/2162، 51/7651، 330/41612، 269/53660.
- مكتبة برلين الأهلية رقم 5978.
- المتحف البريطاني في لندن، 5/420.
- الخزانة الظاهرية، بمكتبة الأسد، خزانة الظاهرية، 30307 عام.
- شهيد علي بالمكتبة السليمانية، 4/2706.
- راغب باشا، بالمكتبة السليمانية، 3/569.

18. **المسرع في شرح المقنع:** (مختصره)، فرغ من تصنيفه في 18 جمادى الآخرة 810هـ الموافق 1407/11/20م، بالمسجد الأقصى، ومنه نسخ في:

- الموصل، المكتبة الأحمدية، رقم 107 أحمدية.
- القاهرة، المكتبة الأزهرية، 3/4376.
- القاهرة، دار الكتب المصرية، 2815 ك.
- إسطنبول، المكتبة السليمانية، خزانة لاله لي رقم 3747 ورقم 3752.
- تركيا، مكتبة مدينة طاوشانلي، رقم 6/1754.
- إسطنبول، المكتبة السليمانية، خزانة قليج علي رقم 570.
- دمشق، مكتبة الأسد، الخزانة الظاهرية، 240 عام.

19. **المعونة في صناعة الحساب الهوائي:** وقد بحث في تعريف الحساب، وموضوعه، وأعمال الصحيح والكسور والجذور والمتواليات والأعداد المتناسبة وحساب الخطأين ومسائل العشرات والحياض والليل والتلاقي والإضمار، تاريخ تأليفه 791هـ/1388م وقد حقَّقه خضير عباس المنشداوي، ونشر في بغداد، عن طريق جامعة بغداد، ومركز إحياء التراث العلمي العربي، 1982.

20. **المقنع في الجبر والمقابلة:** وهي قصيدة في الجبر والمقابلة (المنظومة) تتكون من 59 بيتاً، وتبحث في أسماء الأنواع المجهولة وقرابتها وأعمال الأعداد والجذور ومسائل جبرية أخرى، وقد أنشأها في المسجد الأقصى سنة 804هـ/1401م. وقد اعتنى بهذه القصيدة شرحاً وتعليقاً عددٌ من علماء الرياضيات، مثل زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري السنيكي ت 926هـ/1520م، وسبط المارديني، محمد بن محمد ت 907هـ/1501م، وشرحها المؤلف نفسه. ومنه نسخ في:

- بغداد، مكتبة الأوقاف العامة، رقم 1/550.
- دمشق، الخزانة الظاهرية، 4823 عام.

21. **المسرع في شرح المقنع:** شرح المؤلف كتابه السابق بناءً على طلب تلاميذه ومعاصريه من العلماء، نظراً لصعوبتها، فذكر في مقدمة المسرع: "وبعد، فإنَّ منظومتي في الجبر والمقابلة، الملقب بالمقنع، كثرت معانيه، وقلَّت ألفاظه، فالتمس مني مَنْ حقُّه علي لازم أن أضع له شرحاً، ومن ثمّ اختصره ليسهل على من قصرت همته تناوله". حيث فرغ تصنيفه في 18 جمادى الأولى 810هـ الموافق 1407/10/21م، بالمسجد الأقصى، ومنه نسخ في:

- إسطنبول، مكتبة فيض الله، رقم 1366.
- دمشق، الخزانة الظاهرية، رقم 24 عام.

22. **ملجأ الاضطراب في حساب الفرائض:** وهي رسالة في حساب الفرائض، ومنه نسخ في:

- بغداد، مكتبة المتحف العراقي، رقم 1/4847.
- بغداد، المكتبة القادرية، رقم 216.
- بغداد، مكتبة الأوقاف العامة، 1/2984.

23. **الممتع في شرح المقنع:** (الشرح الكبير)، شرح لقصيدته المقنع في الجبر والمقابلة، فرغ من تصانيفها 13 جمادى الآخرة 810هـ الموافق 1407/10/16م، ومنه نسخ في:

- إسطنبول، المكتبة السليمانية، خزانة شهيد علي، رقم 2/2706.

- دمشق، الخزانة الظاهرية، 24 عام.
- الجزائر، المكتبة الوطنية، فيها نسخ أرقامها 6/597، 19/673، 12/959، 2/1474، 1479، 1480، 6/1483، 14/1830.
- دبلن، مكتبة جستربيتي رقم 1/3881.

24. **الوسيلة في علم الحساب الهوائي:** وهو اختصار لكتابة المعونة المذكور سابقاً، وهو من أهم مؤلفاته، حيث أبدع في مسائل الأعداد المضمرة، وبيان الأعداد الأربعة المتناسبة، ومنه العديد من النسخ في:

- إسطنبول، المكتبة السليمانية، خزانة لاله لي رقم 1/2766.
- المكتبة السليمانية، خزانة حسن حسني رقم 11/1135 وخزانة عاطف أفندي رقم 1717، وخزانة جورليلى علي باشا رقم 443، وخزانة أسعد أفندي، رقم 183.
- القاهرة، المكتبة الأزهرية، رقم 20312.
- بغداد، مكتبة الأوقاف العامة، رقم 12241.
- دمشق، الخزانة الظاهرية، 4280 عام.
- دبلن، مكتبة جستربيتي رقم 4/3469.

وللمزيد انظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 162/2، والملحق (الذيل)، 155/2. وقد شرحها أيضاً سبط المارديني. المكتبة الظاهرية رقم 4280 عام، وكان ابن الهائم قد صنَّفه في 28 ربيع الثاني سنة 772هـ الموافق 1370/11/19م بجوار المسجد الأقصى.

25. **نزهة النظار في صناعة الغبار:** أو نزهة النظار في معرفة القلم الهندي، وهو مختصر لكتابه مرشدة الطالب إلى أسنى المطالب، ومنه العديد من النسخ في:

- المكتبة السليمانية بإسطنبول، خزانة لاله لي رقم 2717/ وخزانة راغب باشا رقم 4/569، وخزانة حفيد أفندي رقم 455، وخزانة أسعد أفندي، 183، وخزانة حسن حسني، رقم 1135.

- متحف التوب كابي سراي، خزانة أمانت خزينة سي، رقم 1725، ومكتبة نور عثمانية، إسطنبول، رقم 2975، ومكتبة جامعة إسطنبول، القسم العربي، رقم 1534.
- خزانة الظاهرية بمكتبة الأسد، بدمشق، ويوجد أربع نسخ أرقامها: 6693 عام، 3079، 3084، 9557 عام، والعديد منها أيضاً في المكتبة المذكورة.

وشرحها زين الدين بن أحمد بن أحمد الدري في سنة 1033هـ/1624م وابن الحنبلي، محمد بن إبراهيم بن يوسف ت 971هـ/1563م، وسمَّى كتابه "عدة الحاسب وعمدة المحاسب"، منه نسختان في الخزانة الظاهرية رقم 5132 عام، و8815 عام. وشرحه أيضاً أحمد بن محمد بن جبريل الغزي سنة 1298هـ/1880م. وكذا يحيى بن تقي الدين بن إسماعيل بن عبادة الينابيعي الشهير بالفرضي توفي بعد 1026هـ/1617م، ومن شرحه نسخة في الخزانة الظاهرية رقم 8861 عام.

إن كثرة الشروحات والتعليقات والاختصارات لمصنفات ابن الهائم المقدسي تبيِّن أهمية مؤلفاته، سواء التعليمية منها أم النظرية الفكرية، فقد ظلّ الاهتمام بها منذ أوائل القرن 15 ميلادي/ 9 هجري وحتى نهاية القرن 19 ميلادي/ 13 هجري. أي مرحلة تزيد عن ثلاثة أو أربعة قرون.

ومن مصنفاته في الفقه وأصوله:

1. **شرح قطعة من منهاج الطالبين:** لصاحبه للإمام النووي ت 676هـ/1277م، في الفقه الشافعي.
2. **العجالة في حكم استحقاق الفقهاء أيام البطالة.**
3. **المغرب عن استحباب ركعتين قبل المغرب.**
4. **جزء في صيام ست شوال.**
5. **التحرير بدلالة نجاسة الخنزير.**
6. **رفع المَلام عن القائل باستحباب القيام.**
7. **اللمع في الحق على اجتناب البدع:** وهو من الكتب المهمة في الفقه، أكد فيه على السير والتمسُّك بالأصول والابتعاد عن البدع.

8. **تحقيق المنقول والمعقول في نفي الحكم الشرعي عن الأفعال قبل بعثة الرسول**.

9. **مختصر اللمع**: للشيخ أبي إسحاق الشيرازي في الأصول.

10. **نزهة النفوس في بيان المعاملة بالفلوس**: وهي رسالة فقهية مهمة من الناحية الاقتصادية عالج فيها زغل وزيف النقود في الدولة المملوكية، ووصف حالة التردي الاقتصادي والأزمة المالية آنذاك. وقد فرغ من تأليفه سنة 802هـ/1400م، بالمسجد الأقصى، وحقَّقها عبد الله بن محمد بن أحمد الطريقي، وطُبعت بالرياض، في السعودية، مكتبة المعارف، 1410هـ/1990م.

11. **البحر العجاج في شرح المنهاج**.

12. **تحرير القواعد العلائية وتمهيد المسالك الفقهية**.

ومن مصنفاته في اللغة العربية وفي النحو:

1. **الضوابط الحسان فيما يتقدم به اللسان**: التي صارت علماً على السماط، وشرحها.

2. **القصيدة الميمية**: (نظم السماط، 53 بيتاً، البحر البسيط).

3. **تحفة الطلاب**: وهو نظم قواعد الإعراب لابن هشام، وشرحها شرحاً مطولاً في مجلد.

4. **خلاصة الخلاصة في النحو**.

5. **التبيان في تفسير غريب القرآن**: دار الكتب المصرية، 84 تفسير.

6. **العقد النضيد في تحقيق كلمة التوحيد**.

وله أيضاً قطعة جيدة من التفسير إلى قوله: "فأزلَّهما الشيطان عنهما". بالإضافة إلى ديوان شعر.

لقد كان ابن الهائم المقدسي، أعجوبة زمانه، وفريد عصره، بل وبديع زمانه، أبدع وابتكر، وأفاد، وكان معولاً على مصنفاته في الفكر والاجتماع واللغة.

وللمزيد عن مصنفاته انظر:

- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت)، الجزء الثاني، صفحة 157-158.

- مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** (عمّان: مكتبة المحتسب، 1973)، الجزء الثاني، صفحة 110-111.
- قدري طوقان، **تراث العرب العلمي في الفلك والرياضيات**، 1952، صفحة 439.
- رمضان ششن، **نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا** (بيروت: دار الكتاب الجديد، 1975)، الجزء الأول، صفحة 192-197.
- آرثر جون أربري Arthur John Arberry، **فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستربيتي**، دبلن، ترجمة محمود شاكر سعيد، مراجعة إحسان صدقي العمد (عمّان: مؤسسة آل البيت، 1992-1993)، ثلاثة أجزاء.
- Carl Brockelmann, *Geschichte der arabischen Litteratur*, Zweiter Band (Leiden: E.J. Brill, 1949), pp. 125-126.

ثانياً: مجير الدين العُلَيمي:

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العمري العُلَيمي، أبو اليُمن توفي سنة 928هـ/1522م، مؤرخ القدس والخليل، قاضي قضاة بيت المقدس، مُصنِّف كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، لم يصنف في مثله مثل، ولم يوجد في بابه نظير كما وصفه صاحبه.

ولد عبد الرحمن بن محمد في 13 ذي القعدة 860هـ الموافق 1456/10/13م بمدينة القدس، في بيت علم وصلاح ورئاسة؛ فوالده كان قاضياً في الرملة والقدس، ويتصل نسبه بعبد الله بن عمر بن الخطاب، فقيل العمري. وأما العُليمي فإنما لحقته نسبةً للقرية المُسمَّاة باسم علي بن عُليم الواقعة شمال يافا، والمدفون فيها الفقيه علي بن عُليم، موطن أجداده.

نشأ عبد الرحمن بن محمد في مدينة القدس، وبها شبَّ، وفيها تلقى العلوم الأساسية برعاية والده، حيث حرص والده على إعداده علمياً ليكون له شأن يحفظ مجد أسرته، ومن ثمّ دفع به إلى مجالس كبار العلماء والشيوخ المقادسة.

والنظر في سيرة حياة عبد الرحمن بن محمد يفيد بأن ثقافته وبناءه الفكري قد تكون خلال مرحلتين من دراسته؛ المرحلة الأولى: في مدينته بيت المقدس، والتي امتدت من سنة

860هـ/1455م حتى 880هـ/1475م. والمرحلة الثانية: في مصر، وخاصة القاهرة، حيث رحل إليها سنة 880هـ/1475م واستمر فيها دارساً حتى 889هـ/1484م[30].

كان شيخه الأول والده؛ حيث علَّمه القرآن والقراءة والكتابة وشيئاً من الفرائض والحساب والفقه والنحو، ويذكر مجير الدين عبد الرحمن بن محمد، أن والده بدأ يصحبه ويحضره مجالس العلماء منذ الثالثة من عمره، وأنه حفظ ملحمة الإعراب في النحو، التي نظمها الحريري صاحب المقامات، القاسم بن علي بن محمد ت 516هـ/1122م، ولما يتجاوز السنة السادسة من عمره، وأنه عرضها على تقي الدين، عبد الله بن محمد بن إسماعيل القلقشندي ت 866هـ/1461م، عالم الأرض المقدسة، وكان أول شيخ جلس مجير الدين، عبد الرحمن، بين يديه يتلقى العلم، ويصفه العُليمي بشيخنا الإمام – العلاَّمة، الفهّامة. ويذكر مجير الدين:

> عرضت عليه، أي العلاّمة تقي الدين القلقشندي، ملحمة الإعراب في ثاني جمادى الأولى سنة 866هـ، بمنزله بجوار المدرسة الصلاحية، ولي دون ست سنين. وهو أول شيخ، عرضت عليه وتشرفت بالجلوس بين يديه، وأجازني بالملحمة بسنده إلى المصنف، وبغيرها من كتب الحديث الشريف، وما يجوز روايته. وكتب والدي الإجازة بخطه، وكتب الشيخ خطه عليها[31].

وإن صدقت الرواية، ففيها ما يشير إلى فطنة وذكاء وقوة الحافظة التي أنعم الله بها على هذا الفتى. ويبدو أن الفتى مُجير الدين، عبد الرحمن قد حفظ القرآن الكريم، وله عشر سنين، قرأه على الشيخ العلاَّمة المُقرئ الحنفي، علاء الدين، علي بن عبد الله بن محمد الغزي ت 890هـ/1485م، وتميّز بالقراءات السبع، وقرأ عليه القرآن برواية عاصم من سورة الأنبياء حتى الفاتحة، ثمّ كرَّر ختم القرآن عليه مرات كثيرة، وذلك بمكتب باب الناظر بالقدس[32].

وكان شيخه تقي الدين القلقشندي يدفعه لحضور مجالس شيخه الآخر، محمد بن موسى ابن عمران الغزي، أبو عبد الله ت 873هـ/1468م، شيخ القُرَّاء بالقدس الشريف، حيث أفاد منه في قراءة القرآن، وسمع عليه صحيح البخاري بقراءة شهاب الدين بن عبيد الشافعي، سنة 871هـ/1466م، ويوصف ابن عمران بملازمته لقراءة القرآن وتدريس الحديث وروايته.

وقد انتفع به الناس، وتخرَّج عليه جماعةٌ من الطلبة، وأجازه ابن عمران بقراءة القرآن، ورواية صحيح البخاري والأحاديث العشرية، والمسلسل بالأولية. وألبسه خرق بعض الطرق الصوفية، ويبدو أن ذاك كان بعد وفاة والده، وعناية علماء القدس به إكراماً لوالده، ونجابته وفطنته[33].

أما علوم الفقه، وخاصةً كتاب: المقنع في الفقه الحنبلي لابن قدامة، عبد الله بن أحمد ت 620هـ/1223م، وكتاب الخرقي، عمر بن الحسين الخرقي، أبو القاسم ت 334هـ/945م، المختصر في فروع الحنبلية؛ فقد بدأ يأخذها عن والده، ثمّ أخذها وعرضها على عدد من علماء بلده، بعضها في حياة والده، وبعضها الآخر بعد موته، ومنهم، شيخه كمال الدين بن أبي شريف ت 906هـ/1501م، حيث عرض عليه قطعة من المقنع، وحضر مجالسه في المسجد الأقصى والمدرسة الصلاحية بالقدس في الدروس والإملاء قبل سفره إلى القاهرة وبعد حضوره إلى القدس. وأجازه كمال الدين بن أبي شريف في أحد شهور سنة 873هـ/1468م[34]. كما عرض قطعة أخرى من المقنع على الشيخ أبي الأسباط، أحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر العامري الرملي ت 877هـ/1472م، الذي كان يعمل بالمدرسة الصلاحية بالقدس، وصفه مُجير الدين العليمي بـ"شيخنا القدوة، ومن قضاة العدل لا يحابي"؛ وأجازه بها[35].

كما أجازه شيخه العلاّمة، نجم الدين، محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن جماعة ت 901هـ/1495م، شيخ المدرسة الصلاحية، وخطيب المسجد الأقصى، وقاضي القدس، بقطعة من كتابه المقنع في شهر ربيع الأول سنة 873هـ/1468م. ويصف مُجير الدين، عبد الرحمن، شيخه نجم الدين بن جماعة، بـ"الإمام العلاّمة، والحبر الفهّامة"[36].

ودرس مُجير الدين، عبد الرحمن، بالزاوية الختنية بالقدس الشريف على شيخه برهان الدين، إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد السعدي ت 893هـ/1488م، المعروف بابن قوقب، حيث أخذ عنه علم الحديث والفقه، وعرض عليه قطعةً من المقنع، وحصل منه على الإجازة الخاصة والعامة[37]. ومن الجدير ذكره ملازمة مجير الدين، عبد الرحمن العُليمي، للشيخ شهاب الدين العميري، أحمد بن عمر بن خليل، أبو العباس، ت 890هـ/1485م، وكان نائباً للحكم في بيت المقدس، درس وأفتى وأعاد بالمدرسة الصلاحية. وكان مُجير الدين، عبد الرحمن يقرأ عليه في المقنع، ويحضر مجالس وعظه ودرسه بالمسجد الأقصى، وحصل منه على الإجازة العامة والخاصة[38]. كما درس على

العلاّمة المحقق، شمس الدين، أبي مساعد، محمد بن عبد الوهاب الشافعي ت 873هـ/1468م، وهو من أعيان علماء بيت المقدس، وقد استفاد منه فائدةً عظيمةً في الفقه والحديث، وعرض عليه قطعةً من كتاب المقنع سنة 873هـ/1468م فأجازه بها[39].

كما أخذ عن الشيخ العلاَّمة، زين الدين، عمر بن عبد المؤمن الحلبي ت 873هـ/1468م الحديث النبوي، وخاصةً صحيح البخاري، وله سندٌ عالٍ في الحديث الشريف، وحضر عليه ختم البخاري سنة 872هـ/1467م بالصخرة المُشرَّفة، وأجازه بروايته[40].

ودرس على قاضي القضاة، نور الدين، علي بن إبراهيم المالكي المصري ت 878هـ/1473م، العارف بالعربية وعلم الفرائض والحساب والحديث النبوي، وكان يكثر من التلاوة ونشر العلوم، وقرأ عليه النحو ولازم مجالسه وتردَّد إليه كثيراً. وكانت قراءته عليه كما أشار مجير الدين العليمي بأنه قراءة بحث وفهم ونظر، وحصل له منه غاية الخير والنفع، وعرض عليه مجير الدين قطعة من الخرقي وأجازه بها[41].

والخلاصة، فقد تشكلت في المدينة المقدسة معالم ثقافة مجير الدين العليمي الدينية واللغوية والنحوية وخاصةً على المذهب الحنبلي، واكتنز ثقافةً واسعةً في الحديث النبوي الشريف، من خلال أخذه على كبار علماء وشيوخ المقادسة. وشعر الشاب المثقف مجير الدين العليمي بأنه لا بُدَّ له من استكمال ثقافته وتمتين حصيلته العلمية والأخذ عن كبار شيوخ آخرين، فقرر الارتحال إلى مصر، ووصل إلى القاهرة سنة 880هـ/1475م، وفيها أخذ العلم عن كلٍّ من الشيوخ والعلماء التالية أسماؤهم:

- بدر الدين السعدي، محمد بن محمد بن أبي بكر، ت 900هـ/1495م، شيخ الإسلام، من علماء الحنابلة الكبار في مصر، المفتي والمدرس، نائب الحكم ومفتي دار العدل ثمّ القاضي بالديار المصرية. وقد لازم مجير الدين العليمي شيخه السعدي، وأقام تحت نظره وتفقَّه عليه، وأخذ عنه كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ت 741هـ/1340م[42].
- ودرس على القطب الخضيري، محمد بن محمد بن عبد الله ت 894هـ/1489م، الحافظ والأصولي والفقيه والمؤرخ وقاضي الشافعية بدمشق[43].
- وحضر مجالس السخاوي، محمد بن عبد الرحمن ت 902هـ/1497م من كبار علماء الديار المصرية والمؤرخ المعروف[44].

- وعثمان بن محمد بن عثمان الديمي الطبناوي ت 908هـ/1502م من حفاظ الحديث[45].
- وأخذ عن الجلال البكري، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، أبو البقاء ت 891هـ/1486م، النحو والفقه، في الخانقاه البيبرسية[46].

وأمضى مجير الدين العليمي في مصر قرابة عشر سنوات دارساً وباحثاً وناظراً في القرآن والفقه واللغة. ثمّ ولي قضاء الرملة سنة 890هـ/1485م، فسافر إليها، وأقام بها سنتين، ثمّ أضيفت إليه القدس والخليل ونابلس، ثمّ ترك قضاء نابلس باختيار بعد سنتين. واستمر على الباقي إلى أيام الدولة العثمانية في 5 ذي القعدة 922هـ الموافق 1516/11/30م، وهذا يفيد بتوليه قضاء القدس قرابة 31 عاماً بصورة مستمرة.

ويلاحظ أنه حجَّ سنة 908هـ/1502م مع التجريدة صحبة أمير الركب الرحبي، وأقام بمكة نحو شهر ملازماً للتلاوة والعبادة، وعاد إلى مدينته القدس الشريف، ثمّ انقطع في المسجد الأقصى للتدريس والإفتاء والتصنيف.

مصنفات مجير الدين العليمي:

وضع مجير الدين العُليمي عدَّة مصنفات في التفسير والفقه وتراجم الرجال والتاريخ؛ وتعود شهرة مجير الدين العُليمي إلى تصنيفه **كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، وقد بدأ كتابته في 25 ذي الحجة 900هـ الموافق 1495/9/16م، وانتهى منه في 17 رمضان 901هـ الموافق 1496/5/30م، والكتاب من أهم الكتب التي تناولت تاريخ المدينة المقدسة منذ بدء الخليقة حتى سنة 900هـ/1494م، وتناول فيه تاريخ مدينة الخليل أيضاً. ويمتاز الكتاب بالشمول والدقة، ووقع في أربعة أقسام، وقد وصف طبوغرافية المدينة ومسجدها الأقصى، وما للمدينة من الفضائل وأشار إلى عمران المدينة. وترجم للسلاطين الولاة والعلماء والوعاظ والفقهاء، وقد استقصى عشرات المصادر التي أرَّخت للمدينة المقدسة وأعيانها وعلمائها، لا سيّما وأنه أمضى حياته فيها لم يغادرها سوى 12 عاماً، كان خلالها على اتصال بمدينته وأهلها وعلمائها، وكان شاهد عيانٍ للعديد من أحداثها، وكثيراً ما يذكر "وكنت حاضراً ذلك المجلس"[47].

ويعدّ كتابه وثيقة تاريخية مهمة للسنوات 873-900هـ/1468-1494م، فقد شهد الأحداث وحضر المجالس ودوّن معاناة أهل القدس خلال عسف وظلم ولاة المماليك في

نهاية الدولة المملوكية، وحوادث الصراع بين المسلمين والنصارى واليهود على بعض الأماكن الدينية. مثل بناء كنيس محدث لليهود في المدينة، وقبر النبي داود المزعوم، وقبة علية صهيون، وظاهرة الطرح والرمي في الاقتصاد المملوكي وتشكي أهل القدس من هذه الظاهرة، مما سبَّب ترديا للأحوال المعاشية لأهل المدينة، وختم كتابه بأحداث سنة 900هـ/1494م، وبترجمة لسيرة شيخه كمال الدين بن أبي شريف، وذكر بيتين من نظم شيخه، سمعها منه بدرب القدس حين عودة الشيخ من غزة في شهر ذي القعدة الحرام، سنة 900هـ/1494م، وهي:

أحيي بقاعَ القدس ما هبّت الصبا ... فتلك رباع الأنس في زمن الصبا
وما زلت من شوقي إليها مواصلا ... سلامي على تلك المعاهد والربى[48]

ومن مصنفاته الأخرى:

1. تفسيران:

- **الأول: فتح الرحمن بتفسير القرآن** (مطول)، منه نسخة محفوظة في مكتبة الجامع الأقصى بقلم يحيى بن حامد تاريخ نسخها 18 رمضان 1026هـ الموافق 1026/9/19م، في مجلدين.
- **الثاني: الوجيز في تفسير القرآن**، وهذا التفسير ما زال مفقوداً.

2. كتاب الإتحاف: وهو مختصر كتاب الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلاء الدين، علي بن سليمان بن أحمد المرداوي المقدسي ت 885هـ/1480م، الأصل أربعة مجلدات، اختصرها في مجلد واحد، ذكره ابن العماد في شذرات الذهب، الجزء السابع، صفحة 341.

3. تصحيح الخلاف المطلق في المقنع: ذكره العامري في السحب الوابلة، صفحة 141.

4. الإعلان بأعيان دولة الإسلام: ذكره العامري في السحب الوابلة، صفحة 141.

5. المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد: (الطبقات الكبرى)، وقد أوضح فيه منهجه الذي يتمثل بما يلي:

- يذكر ما تيسَّر من مناقب الإمام أحمد أولاً.
- يذكر أصحابه الذين عاصروه، ثمّ من توفي منهم بعده، ثمّ مَنْ لم تؤرّخ وفاته.
- يبيِّن من اشتهر من أعيان أصحاب الإمام أحمد من الفقهاء، الذين كانوا على مذهبه في الأصول والفروع، مُرَتَّباً على الطبقات والوفيات.
- من لم يظفر بسنة وفاته، ذكر اسمه وما اتفق له من ترجمته.
- حذف الأسانيد من الحديث الشريف في بعض التراجم طلباً للاختصار.

6. **الدر النضيد في أصحاب الإمام أحمد:** وهو مختصر للكتاب السابق ويسمى (الطبقات الصغرى)، وهو ما زال مفقوداً.

7. **التاريخ المعتبر في أنباء من غبر:** ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، صفحة 1305؛ ومحمد جميل الشطي في مختصر طبقات الحنابلة، صفحة 74؛ وخير الدين الزركلي في كتابه الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين، 1979)، المجلد الرابع، صفحة 108.

8. **إتحاف الزائر وأطواف المقيم المسافر:** ذكره البغدادي في هدية العارفين، الجزء الأول، صفحة 544.

9. **البدر المنور في سيرة الملك المظفر:** وهو ذيلٌ لكتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط رقم 2602.

ويوجد في خزانة قره مصطفى باشا، بالمكتبة السليمانية، باسطنبول مخطوطٌ مُسجَّلٌ عليه: تاريخ القدس لمجير الدين العُليمي، رقمه 399، وهو يختلف في بدايته ونهايته عن المنشور، بما في ذلك تفصيلات الأحداث والتراجم[49]. ويظل كتابه الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل أهم مؤلفاته وأوسعها وأكثرها انتشاراً بكماله وفضائله.

وقد توفي مجير الدين العُليمي سنة 928هـ/1521م أو 927هـ/1520م بمدينة القدس، ودفن في مقبرة باب الرحمة قرب كنيسة ستناريم بالجسمانية، ولما وسعت الطريق، نقلت بقية رفاة جثته إلى مكانٍ قريب، وحفر له قبرٌ جديد، وبُني على قبره الجديدة قبة صغيرة ترتكز إلى أربعة أعمدة[50]، وحول القبر حوش صغير له جدران أربعة تعلوها قضبان حديدية، ونقشت على الجدار الشمالي العبارات التالية:

كل من عليها فان. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام

هذا قبر الفقير إلى الله تعالى القاضي عبد الرحمن بن محمد

ابن مجير الدين العليمي الفخري الحنبلي المقدسي

مؤرخ القدس والخليل توفي سنة سبع وعشرين وتسعمائة[51].

لقد كان مجير الدين العُليمي، علاَّمة بارزة في تاريخ المدينة، حفظ تراثها الثقافي والعلمي والحضاري من خلال تسجيله ورصده للحركة العلمية في المدينة، وكتابة سيَر العلماء والشيوخ الذين وفدوا إلى المدينة، وبيان دورهم في ترقية حركة البحث العلمي في المدينة المقدسة، ورسم صورة لطبوغرافية المدينة؛ شوارعها وأسواقها وحماماتها ومتنزهاتها ومؤسسات الخدمات في المدينة، وحتى منازلها ودورها وأحواشها وهيكليتها. وسجَّل التطورات الاجتماعية والاقتصادية في المدينة، وحركة المجتمع في العصر المملوكي، والحِرَف والصناعات، وعلاقات أهل الذمة من يهود ونصارى مع المسلمين في المدينة، وإجراءات الدولة المملوكية لحفظ السلم الاجتماعي بين أهالي المدينة من مسلمين ونصارى ويهود، ورعاية حجَّاج المدينة المُقدَّسة، وتوفير كافة أسباب الأمن والطمأنينة والاستقرار لهم في ظلّ العدالة الإسلامية التي بُسِطَت على ربوع المدينة وعمقها الريفي.

وعليه، فقد كانت كتاباته تمثل صورةً حيَّةً لواقع المدينة ومجتمعها، عبر تاريخها، حتى سنة 900هـ/1494م.

ثالثاً: خليل السكاكيني:

هو خليل بن قسطندي السكاكيني توفي سنة 1373هـ/1953م، ولد خليل السكاكيني في مدينة القدس بتاريخ 1878/1/23 في دار والده الكائنة داخل المدينة، والدته مريم حرامي، ونشأ في أسرة متوسطة الحال، إذ كان والده يعمل في النجارة وتجارة الأخشاب. ويبدو أن تجارة والده كانت رائجة انعكست بامتلاك الوالد لدار ثانية ظاهر القدس، وكان والده يجيد اللغات التركية واليونانية والروسية. في هذه البيئة نشأ الطفل خليل، فأمه كانت ذات ثقافة معقولة، ووالده يتمتع بصداقات ناجحة، سواء في تجارته وأعماله أو مع معارفه وأصحابه. ولم يكن خليل بعيداً عن مساعدة والده في أشغاله، فقد عمل معه

في أشغال النجارة، وكان مولعاً بتربية الحيوانات الأليفة كالخراف والماعز، وكان لكلبه "فرهود" مكانة خاصة عنده[52]. والأسرة مسيحية تتبع المذهب الأرثوذكسي الرومي اليوناني.

وحين بلغ الطفل سن التعليم ألحقه والده بالمدرسة الطائفية للروم الأرثوذكس القائمة داخل الدير الرومي الأرثوذكسي، ويبدو أن الطالب خليل قد أقنع والده بضرورة نقله إلى مدرسة أخرى بعد أن ضاق ذرعاً بأساليب التدريس في مدرسة الدير، واعتماد العقاب ومنه العقاب الجسدي، بالعصا واللطم، وشكا لوالده من لطم أحد أساتذته له دون ذنب جناه فيما يرى[53]. فنقله والده إلى مدرسة C.M.S. الإنجليزية، والتحق بعد تخرجه من مدرسة صهيون الإنجليزية بكلية الشباب والتي تحولت إلى الكلية الإنكليزية فيما بعد. وكان من أساتذته فيها الأستاذ نخلة جريس زريق، 1861-1921، أستاذ اللغة العربية وآدابها، وكان نخلة زريق من أكثر المدرسين تأثيراً على الطالب خليل.

ونخلة جريس زريق، ولد في بيروت وتلقى تعليمه في مدرسة المعلم بطرس البستاني، ودرس العربية فيها على يد الشيخين ناصيف اليازجي ويوسف الأسير، وهما من الأعلام الأقطاب في اللغة العربية وآدابها آنذاك. وجاء نخلة زريق إلى القدس سنة 1889 ليعمل في إدارة مخازن بيع الكتب التابع للإرسالية التبشيرية الإنجليزية، ثمّ تسلم في سنة 1892 إدارة مدرسة الشبان الإعدادية التي عُرفت فيما بعد بالكلية الإنجليزية، وعَلَّم فيها اللغة العربية إضافةً إلى عمله الإداري، واستمر فيها حتى وفاته سنة 1921. ويسجل لنخلة زريق الفضل في بعث اللغة العربية في القدس خاصة، وقيام نهضة أدبية في فلسطين عامة، إذ كان منزله منتدى أدبياً يجتمع فيه أدباء القدس، علاوةً على اقتنائه لمكتبة عامرة تزخر بأمهات مصادر اللغة والأدب والتاريخ.

وكان نخلة زريق يمثل أحد رجالات الدور الأول للنهضة السورية، فقد أدرك شيوخها واتصل بأقطاب العلم وأئمة اللغة وزعماء الأدب وفحول الشعراء ودعاة الوطنية والإصلاح، الأمر الذي جعله يتعصب لشرقيته، وينصرف إلى إحياء اللغة العربية وتجديد معانيها[54].

لقد طغت شخصية هذا الأستاذ وثقافته الواسعة ووطنيته الأصيلة على السكاكيني، فكان مثاله الأعلى، وظل السكاكيني حتى آخر حياته يحمل له أعمق التقدير وأحسن الذكريات. يقول السكاكيني: "صناعة التعليم آنذاك، كانت ولا تزال ممقوتة، ودخل أكبر

أستاذ فيها لا يسمن ولا يغني من جوع ولا يسدُّ من عوز، ومع ذلك آثر نخلة زريق أن يكونَ معلماً، وأنفق شبابه وصحته، بل امتنع عن الزواج، في سبيل خدمة بلاده"[55].

ودخل السكاكيني ميدان الحياة العملية فبعد تخرجه من الكلية الإنجليزية سنة 1893 زاول مهنة التعليم في المدرسة الأرثوذكسية التي كان تلميذاً فيها[56]. وكان همه مواصلة تحصيله العلمي في روسيا، بعد أن ادخر بعض المال بتشجيع من صديقه بندلي الجوزي، ولكنه عدل عن ذلك بسبب مرض والده[57].

تعرف السكاكيني إلى فتاة مقدسية، اسمها سلطانة، عشقها وأحبها كما المجنون وليلى أو عروة وصاحبته عفراء، ولمّا كانت سوق الأدب غير رائجة في تلك الأيام، والتدريس لا يسد حاجة، وهمه متابعة التحصيل العلمي، فقد صمم على امتطاء غارب السفر، ولكن هذه المرة إلى أمريكا التي كان أخوه يوسف قد سبقه إليها. وهناك لم يعد قادراً على كتم حبه الهائم بسلطانة، فَولْوَلَ بعذابات فراقه واغترابه عنها، فقد كتب إليها رسالة جاء فيها "لم يعد في مقدوري أن أكتم حبي لك، وأعيذك بالله أن تكوني قاسية فتستخفي بحبي الخالص لك"، "ترفقي بي، لا تدعيني أذهب من هذه البلاد ممزق الأحشاء، دامي القلب، قريح الأجفان، منكسر الخاطر"[58]، وبدأ تبادل الرسائل بينه وبين من عشق. وارتحل السكاكيني إلى أمريكا، أواخر سنة 1907.

كانت حياته في أمريكا كلها شقاء ونصب وتعب، عرف فيها من الحرمان والجوع ألواناً، ولم ينجح في الالتحاق بأي معهد علمي للدراسة. وكان حال أخيه يوسف أسوأ من حاله. ولم يمتلك خليل أية نقود لشراء تذكرة السفر للعودة، فعمل في أحد المطاعم يغسل الصحون والكاسات أيضاً، وعمل شيالاً في مصنع ورق في مدينة رمفولد فولز الصناعية الصغيرة، يدفع العربة عشر ساعات في اليوم بأجرة لم تتجاوز ريالاً ونصف، فأرهقه العمل وما عاد قادراً عليه. وقادته المقادير للتعرف على فرح أنطون، صاحب مجلة الجامعة، أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده، وأخذ يتردد على مكتبه، ولكن دون أن يعمل معه، وإنما أتيح له تدريس اللغة العربية في المدرسة اللاهوتية في نيويورك فيما بعد، ولكن بأجرة تكفيه لطعامه ومنامه فقط. وفي أمريكا أيضاً تعرف على الدكتور كونهايل، وعمل معه في تنقيح وتصحيح بعض المخطوطات، وكان السكاكيني قد لاقى أهوالاً ومرارات متعددة من الفقر، وكان حينها أحوج ما يكون للطعام، وحين أنجز عمله أعطاه كونهايل نسخة من كتاب "محيط المحيط" مكافأة على عمله معه، ونظر السكاكيني إلى

الكتاب وخاطبه "إذا جعت أو عريت، أكلت المحيط، وخطت من أوراقه ثياباً"[59]. وما كان أمامه إلا العمل كبائع قماش متجول، فسار حتى انتعلت قدماه الدم، ينتقل من ضيعة إلى ضيعة، ومن سوق إلى سوق، ينام حيث انتهى به المقام، مفترشاً الأرض وملتحفاً السماء، مخدته حقيبة قماشه. ولاحت للرجل طاقة فرج، ففي يوم 1908/7/25 حطت رحلة تجواله في نيويورك فقرأ في الجرائد العربية: إن جلالة السلطان عبد الحميد الثاني قد منح الدولة العثمانية الدستور، مما سُرَّ له كثيراً، واستبشر به خيراً، وقال في نفسه: "الآن إذا رجعت إلى بلادي يكون رجوعي في محله، إذا صحت الأحلام، وكان المجال أمامي واسعاً، الآن أستطيع أن أخدم بلادي، الآن أستطيع أن أنشئ مدرسة وجريدة وجمعيات للشبان، الآن نستطيع أن نرفع أصواتنا، بدون حرج، لينعم بالك يا سورية، صبرت كثيراً، فنلتَ مبتغاك، ليرتد الطامعون فينا خائبين، ولتحيا سورية"[60]. وكان قراره العودة في 1908/8/8، حيث وصل إلى بلده، ليباشر نشاطه الأدبي والاجتماعي والسياسي؛ فشارك فيه بهمة ونشاط. وبالرغم من معاناته في أمريكا، فقد قرأ مؤلفات نيتشه Nietzsche وما صدر عنه، وقد تركت تلك القراءات أثراً كبيراً في تفكيره وفي منهجية حياته، كما رأى في أمريكا التقدم والمدنية والحرية.

وفي القدس شارك تحرير مجلة الأصمعي، المجلة الاجتماعية، نصف الشهرية، وكان يوقع مقالاته بكنية أبي الطيب المتنبي ويصحح بعض المقالات في جريدة القدس لصاحبها جورج حبيب حنانيا، حتى إذا ما توقفت المجلة بعد موت صاحبها حنا عبد الله العيسي بتاريخ 1909/9/12[61]، أنفذ مشروعه الذي طالما حلم به: "المدرسة"، فأنشأ المدرسة وسماها بـ"الدستورية" وذلك بإسهام من علي جار الله وجميل الخالدي وافتيم مشبك، وكانوا جميعاً يُدرِّسون فيها. كما كان يُدَرِّسُ فيها أيضاً عادل جبر، وتولَّى السكاكيني إدارتها إضافةً إلى عمله في التدريس فيها، كانت المدرسة الدستورية الأولى من نوعها في البلاد، إذ كانت مناهجها على أحدث الأساليب التربوية والعلمية. وفي المدرسة الدستورية أنشأ المجلة الدستورية، وكان الهدف من إنشاء المجلة، تدريب الطلاب على الكتابة الصحفية، التي كانت تعتبر في تلك الفترة من أهم وسائل الاتصال الجماهيرية للتعبير عن الرأي العام الوطني، ومقاومة مظالم الولاة الأتراك، والمخططات الصهيونية. وكانت المجلة خطية حائطية، يحررها الطلاب، ويشارك في الكتابة الأساتذة، وتعلق نسخ منها في المدرسة وأماكن مختلفة من المدينة[62].

وبين السنوات 1909 وحتى بداية الحرب الحرب العالمية الأولى 1914 كان له نشاط سياسي واجتماعي في جمعية الاتحاد والترقي التركية، ويورد السكاكيني في رواية (نراها ضعيفة) بأنه استدرج للانضمام إلى عضويتها، إذ في حماسه للدستور ومدرسته الدستورية ومجلته الدستورية ما يفيد برغبته في الانضمام، ولكن بعد أن كشفت الاتحاد والترقي عن وجهها الحقيقي في التتريك، والحط من منزلة العرب، اتجه للانضمام إلى جمعية الإخاء العربي العثماني، وكانت تتبنى الدفاع عن العرب، والوقاية من خطر الاتحاد والترقي، والمحافظة على الدستور، ووحدة الولايات العثمانية، وتحسين الأوضاع في المقاطعات العربية على أساس المساواة. وكان منتخباً في أول هيئة عاملة في فرع القدس برئاسة إسماعيل الحسيني، وعضوية حنا العيسى ونخلة زريق وفيضي العلمي وخليل السكاكيني[63].

ويسجل للسكاكيني في هذه المرحلة من حياته 1908، صراعه المرير مع بطريركية الروم الأرثوذكس في القدس، فكان كثير التعرض والنقد لزعماء وقيادة الكنيسة المتنفذة، وجُلُّهم من أصول يونانية، ولا روابط ثقافية أو فكرية بين رجال الأكليروس اليونانيين وأبناء الملة العرب من أهالي فلسطين. وزاد نقد السكاكيني بعد إعلان الدستور العثماني، فهاجم نماذج الحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية والدينية والاقتصادية التي تفرضها الكنيسة على أبناء الملة، ودعا إلى مقاطعة رجال البطريركية الأرثوذكسية اليونانيين؛ لطمسهم حقوق الطائفة الأرثوذكسية في فلسطين. وبادلته الكنيسة النقد والتعريض، واتهمته بالإلحاد، وميله إلى البلشفية الشيوعية، مستغلةً صداقته مع بندلي الجوزي الذي كان يقيم في بطرسبرج Petersburg مدرساً في كليتها، منخرطاً مع الحزب الشيوعي هناك، وحرَّض السكاكيني على قيام المظاهرات والاحتجاجات ضدّ رجال الكنيسة، مما حمل البطريرك الأرثوذكسي اليوناني دميانوس Damianus I على إصدار مرسوم بفرض "الحرمان على السكاكيني من الكنيسة"[64].

وفي سنة 1914 عُيِّنَ السكاكيني عضواً في إدارة المعارف (قومسيون المعارف) بلواء القدس، فبذل جهوده كلها في سبيل إصلاح مناهج التدريس وجهاز المدرسين، وتعيين المعلمين وعزلهم وتنزيل درجاتهم، فقد كان يرغب في إصلاح التعليم، وإفساح المجال أمام تعليم البنات[65]، وكان قبل ذلك قد تزوَّج بمن عشق وهام، تزوج بسلطانة عبده بتاريخ 1912/1/13.

ولما كانت المدينة المقدسة مثار تنافس وصراع القوى الكبرى، بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وأمريكا. فقد عمل جمال باشا، والي دمشق آنذاك، على جعل القدس مركزاً للثقافة الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط، فأعاد إحياء المدرسة الصلاحية التي كان قد أقامها صلاح الدين الأيوبي غداة تحرير القدس من الاحتلال الصليبي الفرنجي، واسماها كلية صلاح الدين الأيوبي، وجلب لها الأدوات اللازمة من ألمانيا، وفتحت المدرسة الإسلامية أبوابها في شباط/ فبراير 1915، من جديد. وقد وضع لها نظاماً عصرياً جديداً، وشملت صفين شبه جامعيين، واختار لها جمال باشا بنفسه أكفأ الأساتذة من سورية وفلسطين وبلاد عربية أخرى. وتولى إدارتها رستم حيدر، وكان السكاكيني وإسحق النشاشيبي وعبد العزيز جاويش من مدرسيها[66].

واستمرت المدرسة قائمة حتى احتلت القوات البريطانية المدينة المقدسة في 1918/1/9، بقيادة الجنرال اللنبي، أما الأساتذة والطلبة فقد تحولوا منذ سنة 1916، حين اشتدت أوار الحرب العالمية الأولى إلى دمشق. وانتقل السكاكيني منها إلى دمشق أيضاً، وهناك كانت له علاقات بمعلمه الأول نخلة زريق، ولكنه عاد إلى القدس[67].

وقد عثر الباحث في الأرشيف الصهيوني المركزي The Central Zionist Archive (CZA) على وثيقة رقمها CZA. 3/74 تاريخها الأول من كانون الثاني/ يناير 1918، وهي رسالة بعث بها فيجنباوم Feigenbaum إلى آرثر روبين Arthur Ruppin، أحد زعماء البعثة الصهيونية في القدس والمسؤول عن الاستيطان اليهودي، تفيد باعتقال السلطات العثمانية لكل من خليل السكاكيني واليهودي الأمريكي ألتر ليفين Alter Levine بتاريخ 1917/12/4. حيث كان الأخير مطلوباً بتهمة التجسس لصالح الحلفاء، وأما السكاكيني فلأنه أخفاه في بيته، وبعد إلقاء القبض عليهما أرسلا إلى سجن أريحا مشياً على الأقدام، ومنه نقلا إلى دمشق ليودع خليل السكاكيني السجن المعلق بباب الجابية أمام سوق مدحت باشا، وقد أورد السكاكيني الحادثة في يومياته[68]. وقدمها في سياق مساعدة الغريب الذي التجأ إليه مضطراً. ولا نعلم شيئاً عن مصير اليهودي الأمريكي فيما بعد، غير أن السكاكيني أطلق سراحه بوساطة عبد القادر المظفر، رئيس الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس، وبكفالة مالية، وكان ذلك في 1918/1/10.

ويميل الباحث إلى أن سيرته الحسنة أيام الوجود العثماني في القدس، وانخراطه في الحياة السياسية العثمانية؛ سهلت أمر إطلاق سراحه بعد سنة من اعتقاله وبالكفالة

المالية. وبعد إطلاق سراحه اعتمد السكاكيني على الدروس الخصوصية في تعليم اللغة الإنجليزية، ودرس الفرنسية عند الأستاذ بشارة توما[69]، كما أتقن الموسيقى والعزف على آلات الكمنجة وخاصة العود، وكان يسكن في بيت السيدة أم إلياس شطاحي في مئذنة الشحم تلة السماكة [70] محلة الخراب، نومره 57.

في 1918/8/10 دبر أمر فراره من دمشق، وكانت الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف الحسين بن علي قد عظم أمرها، فخرج من دمشق ومعه لفيف من الشبان قاصداً جبل العرب (جبل الدروز)، حيث وصل إلى "القرية" مسقط رأس سلطان باشا الأطرش قاصداً مضارب الأمير فيصل بن الحسين في أم اللسن في قلب الصحراء، وفي القرية وضع السكاكيني نشيداً وطنياً للثورة ولحنه، ليقدم هدية لثورة العرب الكبرى، جاء فيه:

أيها المولى العظيم — فخر كل العرب
ملكك الملك الفخيم — ملك جدك النبي
نحو هذا الملك سيروا — قبل فوت الزمن
وعلى الخصم أغير — وا لخلاص الوطن
لم نعد في ذا الزما — ن أمة مستعبدة
ليس يجدينا التوا — ني والليالي مسعدة
نحن في الهيجاء نقبـ — ـل كالآتي المنهمر
وعلى الأعداء نحمـ — ـل ليس فينا من يفر
إن نعش عشنا كرا — ماً أو نمت متنا كرام
همنا نردي اللئام — همنا نردي اللئام[71]

ولكنه ما إن وصل مضارب الأمير فيصل سرعان ما ترك المضارب والأمير والثورة وتوجه إلى مصر، حيث أمضى فيها شهرين، لأن الحكومة الإنجليزية منعته من دخول فلسطين ظلماً وعدواناً كما أورد في مذكراته[72]. ويميل الباحث إلى الاعتقاد بأن السكاكيني كان مأخوذاً بالشعارات التي رفعت آنذاك للثورة؛ "الوحدة، الحرية، الاستقلال" فكان حماسه وفراره ومغامراته على ظهر جمل متخفياً حذراً حتى إذا ما حلّ المضارب راعه الاتصالات التي كانت جارية مع الإنجليز ومع زعماء الحركة الصهيونية فغادر[73].

ونقرأ في يوميات السكاكيني، 1919/3/26 مقولة راغب النشاشيبي "إذا لم تخولنا الحكومات الاستقلال التام، ولم يكن بدّ أن ننتدب إحدى الدول للعناية بنا، فالرأي أن

تنتدب الحكومة الإنجليزية، وما نراه من سوء الإدارة فناشئ عن الجنرال ستورز [رونالد ستورز Ronald Storrs] لا عن الحكومة الإنجليزية"، والجنرال ستورز كان الحاكم العسكري البريطاني في القدس، وصلاته قوية مع حاييم وايزمن Chaim Weizmann، رئيس البعثة الصهيونية في فلسطين[74]، ويفهم من ردة فعل السكاكيني عدم موافقته على رأي النشاشيبي.

لقد عاد السكاكيني إلى القدس ليزاول الدروس الخصوصية، ولكن هذه المرة للضباط والمسؤولين الإنجليز، يعلمهم اللغة العربية، ومن خلال دروسه الخصوصية نسج علاقات طيبة مع الماجور ريتشموند Richmond ويعرف بالمستر بيل، وربطته علاقات ودية مع مدير المعارف البريطاني تدمن، وكانت له زيارات للمستر كمب Comb رئيس قلم الاستخبارات البريطاني، واللفتنانت لوك Lucke، والمستر آشبي Ashbee، ووترس بتلر وغيرهم[75]. ولم تقتصر علاقاته بالمسؤولين البريطانيين على الدروس الخصوصية، بل كانت تدور مناقشات بينه وبينهم عن الأوضاع في فلسطين، وكان يبدي رأيه في المظاهرات وأسبابها والداعمين لها، واللجان الدولية التي كانت ترسل للتحقيقات، والأحداث التي تقع في البلدان المجاورة لمصر، ومدى تأثيرها على الاستقرار والأمن في فلسطين[76].

ويفهم من يوميات السكاكيني تكرار عرض تدمن، مدير المعارف البريطاني، وظيفة رسمية في المعارف على السكاكيني، وكان جوابه دوماً: لا بدّ من تشكيل هيئة معارف أهلية لتشرف على التعليم العربي، وبتاريخ 1919/3/14، تمّ تعيينه في هيئة المعارف لمدارس الذكور وزوجته سلطانة لمدارس البنات.

وفي القدس أيضاً تولى إدارة دار المعلمين سنة 1919، وأنشأ مجلة الجوزاء لطلبتها، يحررونها بأنفسهم[77]، ولم يطل به المقام في مدينته، فرحل إلى القاهرة ليتولى إدارة التعليم في المدرسة العبيدية التابعة للجمعية السورية الأرثوذكسية، فقد ترك العمل احتجاجاً على تعيين هربرت صموئيل Herbert Samuel اليهودي الصهيوني مندوباً سامياً على فلسطين. ولكنه عاد إلى القدس مرة أخرى سنة 1920 ليرحل مرة ثانية لإدارة المدرسة العبيدية حيث أمضى سنتين، وفي سنة 1922 مارس مهنة الصحافة ونشر المقالات في الجرائد والمجلات في مصر وفلسطين، فكتب في الشورى والمقتطف والهلال والسياسة والدستور والأهرام والزهرة والقدس والنفير والدفاع والكرمل وجراب الكردي والنفائس.

ثمّ استقر به المقام مساعداً ثمّ مفتشاً عاماً للغة العربية في إدارة معارف فلسطين من سنة 1926 وحتى 1938، وبنى بيتاً في حي القطمون، وخلال هذه الفترة، وتحديداً في سنة 1936، عرضت عليه وظيفة مدير البرنامج العربي لمحطة الإذاعة الفلسطينية، ولكنه رفض العرض، وقد تلكأ لأنه لا يريد مزاحمة رفاقه عادل خير ورفيق التميمي، لا سيّما وأن برنامج الافتتاح يقرن عبارة فلسطين بـ"أرض إسرائيل" لدى افتتاحه البث الإذاعي. وفي سنة 1938، وقد تقاعد من عمله، أسس مع زميله إبراهيم خوري ولبيب غلمية وشكري الحرامي مدرسة النهضة، وظلّ مديراً لها حتى وقوع النكبة سنة 1948[78].

بدأت حياة السكاكيني الأدبية في سنٍّ مبكرة، فقد صنَّف مؤلفه الأول، "الاحتذاء بحذاء الغير"، ولما يتجاوز الـ 19 من عمره، إذ كان يرى أن أحد أسباب تدهور الأدب العربي هو المحاكاة والابتعاد، بل ونبذ الأصالة. كما انتسب إلى جمعية زهر الآداب سنة 1898، وكان من أعضائها عيسى العيسى وفرج فرج الله وافيتم مشبك وشبلي الجمل وجميل الخالدي ونخلة زريق، ويرأسها داود الصيداوي، وهي تُعنى بالأدب العربي وترقية الدراسات فيه[79].

كان السكاكيني كلفاً بالقراءة ومحباً للغة العربية، قضى سنوات من حياته في دراستها ودعمها، اهتم بأسرار اللغة ودقائقها وقواعدها ومزاياها. وإسهاماته كانت في ميادين متعددة في الآداب والفكر والنقد الأدبي والنقد الاجتماعي والسياسة والتربية؛ ففي ميدان اللغة كان في طليعة الرواد الذين دافعوا عن اللغة العربية في وجه الهجمات التي كانت تشن عليها، ودعا إلى تقديسها والذود عنها، ويقول في هذا الصدد: "اللغة قبل كل شيء هي العنصر الذي نقيم به أمجاد الأمة، وعلينا أن نُعلِّمَ الولد كرامة أمته ومجدها في الكلمات العربية ليقرأها، ويشعر بأنه يشرف على مجده وعزته القومية من خلال الحروف والكلمات"[80]. وكانت للسكاكيني دراسات لغوية في النحو والبيان والحروف، وعنده أن اللغة كائن متطور، تنبذ التراكيب الجامدة، وهي قادرة على استيعاب علوم الحضارة الغربية. كما كانت له دراسات في النحو والصرف، ودعا إلى إلغاء تعليم القواعد، إذ يمكن تعلمها بالسماع والتقليد والاستعمال، ولكنه اشترط أن تكون اللغة العربية الصحيحة لغة التعلم والتخاطب[81]. هذا بالإضافة لدراسته للحروف وأصواتها وصورها، وكان من أشد المعارضين لاستبدال الحروف اللاتينية بالأحرف العربية[82]، وله مؤلفات في اللغة سنعرض لها لاحقاً.

آراء السكاكيني في التربية والتعليم:

من آرائه أن التعليم يجب أن يكون وطنياً وصحيحاً، والتلاميذ من كل الطوائف، والتعليم من أجل توسيع المدارك لا من أجل حشد العقول بالعلوم، لا بدّ من رفع معنويات التلاميذ بإعزازهم وعدم إذلالهم، لا قصاص ولا جوائز ولا علامات[83].

وقد طبَّق نظرياته وآراءه في التربية والتعليم في مدرسة "النهضة" التي أنشأها، فاختار نخبة من المعلمين الشبان للتدريس فيها، واشترط على مدرسي المدرسة أن يتأنقوا في ملابسهم، ويحلقوا لحاهم كل يوم، وأن يكثروا من السياحة مع التلاميذ والعناية بالموسيقى والفنون.

إن التعليم في عرف السكاكيني ليس ادخاراً ولا استظهاراً، بل حياة واستعمالاً، ومدرسته لا بدّ وأن تقوم على نظام الحوار والمناظرة لتكون أداة للنهضة. ويعرّف مدرسته "النهضة" بالمقولات التالية: مدرستنا حرة، أعني أنها لا تهيء طلابنا لأن يكونوا أحراراً في المستقبل، ولكنها تريدهم أحراراً منذ اليوم، مدرستنا لا تنتمي لطائفة أو بلد أو طبقة ولكنها للجميع، لا تثق بالشهادات، تحترم التلميذ وتحسن معاملته، لا تتقيد بالحضور والغياب، ولا تتقيد برأي أحد إلا بعد البحث. مدرستنا تدرس اللغات والفنون والغناء والموسيقى، وحتى الرقص[84].

والمرأة عند السكاكيني يجب أن تكون حرة، شرفها خصوصية لها، وهي المسؤولة عنه، فالوصاية والضغط والعنف والغيرة المبالغة لن تجدي نفعاً[85].

وفي خضم الحياة السياسية كان للسكاكيني دور بارز، فقد ناهض الصهيونية والانتداب، وعمل في الجمعيات والمنتديات، وأسهم في المؤتمرات، فكان من النخبة السياسية القيادية في فلسطين، حيث كان عضواً في المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس، سنة 1922[86]. وكان أحد الموقعين على مذكرة لكبار الموظفين العرب في فلسطين المرسلة إلى المندوب السامي، وفيها يحتجون على السياسة البريطانية المتبعة في البلاد، سنة 1936[87]. كما اختير رئيساً للمجلس الوطني الفلسطيني الخامس، ومن طرائف نضاله إنشاؤه "مقهى الصعاليك"، وهو مقهى شعبي يقع في باب الخليل في القدس الشريف، صاحبه مختار الطائفة الأرثوذكسية عيسى الطلبة، وكان يجتمع فيه عدد كبير من رجالات السياسة والعلم والأدب "شلة الصعاليك"، ويتحلقون لمناقشة الأحوال الاجتماعية

والسياسية، ينبهون إلى الأخطار التي تحيط بالوطن عامة وبفلسطين خاصة، ويدعون الناس إلى الاستيقاظ، ويدرسون قوة عدوهم الذي يسعى لتشريدهم وطردهم. ووضع للصعاليك مبادئ وقواعد لا بدّ أن يسيروا بموجبها، وتعاظم أمر مقهى الصعاليك في كل المدن والبلدات الفلسطينية، حتى كادت السلطات البريطانية أن تعتقل شلة الصعاليك، وتعمل على تفريقهم[88].

كان السكاكيني محباً للحياة، مقبلاً عليها بكل ما أوتي من حصافة وذكاء، واختط لحياته منهجاً سلوكياً التزم به معظم حياته، فيه الحفاظ على صحته الجسمية والعقلية والروحية، حتى عصفت به النكبات الواحدة تلو الأخرى، منها ما استطاع تجاوزه مستسلماً لقدر الله وقضائه، ومنها ما هدَّ كيانه ولم يقو الرجل على مكابدته. وكانت أولى نكباته، وفاة زوجته سلطانة، وهي في ريعان الشباب سنة 1939، بكاها ما دام له بقية عمر صباح كل يوم، كان يزور قبرها قبل توجهه إلى عمله، ولذكراها وضع كتابه، ويسجل في كل يوم "خرجنا، أختي ودمية وهالة وأنا إلى المقبرة، فنثرنا الزهور وذرفنا الدموع"، يناجيها بأبيات من الشعر أو بنثر بليغ حزين، وظلّ مثابراً حتى النكبة، وما فارق خيالها عقله وروحه لحظة واحدة، ولا تملك وأنت تقرأ حسراته وحزنه وبكاءه إلا أن تكون معه[89].

ثمّ كانت النكبة الثانية، يوم أجبر على ترك بيته في حي القطمون، في نيسان/ أبريل 1948، ووداعه لمكتبته، ونجده يقول "الوداع يا مكتبتي يا دار الحكمة، يا رواق الفلسفة، يا معهد العلم، يا ندوة الأدب". وبهذا ابتعد عن الأهل والأحباب وعن مواطن الذكريات، ورحل إلى القاهرة، واستأجر شقة مفروشة، في مصر الجديدة، شارع الأمير حسين، رقم 7، يرتاد مقهى بالميرا، يدخن نارجيلته، ونار الذكريات يضطرم في أحشائه، حتى وقع الحادث الجلل الذي صدع كيانه وهدّ بنيانه، وأصبح في تعاسة لا يقوى على مكابدتها أو تحملها، فقد فارق ابنه العزيز سرّي الحياة، وهو في عنفوان الشباب، على أثر سكتة قلبية، في 1953/5/11 في البيت وأمام نظر والده المكلوم، كانت ضربة قوية للسكاكيني، لم يستطع احتمالها فعاش بعد فقده ابنه ثلاثة أشهر في حزن عميق، وفارق الحياة في مستشفى دار الشفاء بالقاهرة مساء يوم 1953/8/13.

مات السكاكيني الأديب والمؤلف والمعلم والمربي، ودفن في مقبرة كنيسة مارجرجس الأرثوذكسية في القاهرة.

وخلدت ذكرى السكاكيني باختياره عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1926، وعضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1948. وأطلق اسمه على مدرسة وشارع في مدينته القدس. وقد استحق كل هذا التخليد والتكريم.

قالوا فيه:

- العقاد: إن السكاكيني إنسان بكل ما في معنى الإنسانية من رفعة وعمق.
- منصور فهمي: صورة بسامة لمعنى الإنسانية.
- جورج أنطونيوس: إنه متطرف في آرائه ووطنيته، صعب القياد، لا يطيق أن يتحكم فيه أحد[90].

مؤلفات خليل السكاكيني:

1. **الاحتذاء بحذاء الغير:** طبع في القدس سنة 1896.

2. **مطالعات في اللغة والأدب:** طبع في القدس، مطبعة مدرسة دار الأيتام الإسلامية، سنة 1925، ويقع الكتاب في 167 صفحة، وهو مجموعة محاضرات ألقاها في الجامعات المصرية، ومقالات لغوية وأدبية، نشر معظمها على صفحات جريدة السياسية المصرية، وفيه مناظرات حول الجديد والقديم في أسلوب الكتابة العربية، دارت بينه وبين الأمير شكيب أرسلان.

3. **النهضة الأرثوذكسية في فلسطين:** طبع في القدس سنة 1913، وفي هذا الكتاب يصور حالة الطائفة الأرثوذكسية في القدس، وما تعانيه من رجال الأكليروس الأرثوذكسي الديني، وخاصة من البطريرك والرهبان اليونانيين الذين لا يمتون للنصارى العرب بأية صلة عاطفية أو قومية أو وطنية. ونقد أسلوب الكنيسة في التعليم نقداً مُرّاً.

4. **فلسطين بعد الحرب الكبرى:** طبع في القدس، مطبعة بيت المقدس، سنة 1920، في جزأين، وهو مجموعة مقالات نشرت في عدد من الصحف المصرية، مثل الدستور والشورى والمقتطف والسفور والمقطم والأهرام السياسية والزهرة، وفي عدد من الصحف التي تصدر في فلسطين، مثل النفير وفلسطين والدفاع والكرمل وجراب الكردي والنفائس. وتناولت أوضاع فلسطين بعد احتلالها من قبل القوات البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي، وسياسة بريطانيا إزاء وعد بلفور والانتداب البريطاني.

5. **الجديد في القراءة العربية:** طبع في القدس، المطبعة العصرية، 1929-1934، وهو أربعة أجزاء، وضع للمدارس العربية الابتدائية في عهد الانتداب البريطاني، ولهذا الكتاب بأجزائه الأربعة شهرة واسعة في الأقطار العربية، عرف الجزء الأول منه شهرة واسعة في صفوف المدارس الأولى وكان كتاباً ناجحاً، لا سيّما بعد أن بذله السكاكيني للنقاش والنقد في الصحافة المحلية والعربية.

6. **الأصول في تعليم اللغة العربية:** طبع في القاهرة، مطبعة الاعتماد، سنة 1952.

7. **الدليل:** طبع في القدس، الأول سنة 1931، والثاني سنة 1934. ويشبه من بعض الوجوه كتابه الجديد في القراءة العربية.

8. **سريّ:** طبع في القدس، المطبعة التجارية، سنة 1935، ويقع الكتاب في 169 صفحة، جمع في هذا الكتاب عدداً من رسائله التي كان يبعث بها إلى ابنه سريّ عندما كان يدرس الحقوق في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد عالج الكثير من الأمور الاجتماعية المتنوعة، وفيه إرشادات ونصائح، كتبها بأسلوب أدبي راق، كرسائل الساعة والخزانة وأكلوا الدجاجة. وجاء في بعض الرسائل، إن دراسة الحقوق تمكن من معالجة المشاكل الاجتماعية، أما دراسة الطب فهي علاج للجسد، ودراسة الأدب فيها علاج للنفس والروح. وقد نقد الكتاب عيسى الناعوري في مجلة رقيب صهيون نقداً قاسياً، ثمّ تراجع عن نقده بعد أن وعى وعرف مرامي خليل السكاكيني في رسائله[91].

9. **حاشية على تقرير لجنة النظر في تيسير تعلم النحو والصرف والبلاغة:** وقد صحح في هذا الكتاب ما ذهبت إليه اللجنة التي عهد إليها مدير التعليم البريطاني في فلسطين، تدمن "بوضع كتاب للطلبة العرب في النحو والصرف والبلاغة".

10. **لذكراكِ:** طبع في القدس، المطبعة العصرية، سنة 1940، ويقع الكتاب في 97 صفحة، وقد ضمّ هذا الكتاب قصائده من البكائيات والمراثي التي قالها في زوجته سلطانة، بعد أن فجعه الموت بفقدها، وكانت سلطانة أهزوجة النشيد الخالد في حياته افتتحه بعبارة "تعالوا ننقرض" ثمّ بيت الشعر:

فيا لكَ من حُلُم جَميل قد انتهى ويا لَكَ مِنْ حُزْنٍ طويل قد ابْتَدا

11. **عليه قِسْ:** طبع في القدس، مطبعة الآباء الفرنسيين، سنة 1943، ويقع الكتاب في 65 صفحة، هو كتاب اقترحه لتعلم قواعد اللغة دون تدريس النحو، يُسار فيه من المثال إلى القاعدة إلى الاستعمال، ورصف أبواباً في النحو والصرف يمكن أن توضع في جداول، يكلف الطلبة بحفظها، ومن ثمّ يقيسون غيرها عليها، جرياً على الطريقة الفرنسية.

12. **ما تيسر:** طبع في القدس، المطبعة العصرية، وهو في جزأين، الأول سنة 1943، والثاني سنة 1946. وهو مجموعة مقالات وخطب ألقاها في التربية والاجتماع والسياسة، وهي من كتبه المهمة، لأنه عالج فيها موضوع التعليم والمدرسة التي ينشدها، والمواد والمقررات التي تدرس فيها، ووصاياه لطالب العلم.

13. **كذا أنا يا دنيا:** طبع في القدس، المطبعة التجارية، سنة 1955، ويقع الكتاب في 405 صفحات؛ وطبعة دمشق، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، الأمانة العامة، الطبعة الثانية، 1982، ويقع في 407 صفحات. وهي يوميات السكاكيني ومذكراته، صدرت بعد وفاته، أعدتها ابنته هالة، والمذكرات تصوير يومي للأحداث السياسية والاجتماعية التي نزلت بفلسطين وسجلها، علاوة على كونها سيرة ذاتية لخليل السكاكيني، وتبدأ من سنة 1907، وتنتهي بتاريخ 1951/9/16، وفُقد منها المذكرات العائدة إلى السنوات 1922-1931، وذلك حين أخرج من بيته في حي القطمون بالقدس نتيجة الغزو الصهيوني سنة 1948، فلم يحمل معه أوراق تلك السنوات، إذ كانت القنابل وطلقات الرصاص الصهيوني تنهال على الحي من كل جانب، وأصابت إحداها بيته.

14. **حروف العربية:** قارن فيه هذه الحروف بالحروف اللاتينية، نشر في المجموعة الكاملة لمؤلفات السكاكيني.

15. **أعزائي:** طبع في القدس، المطبعة التجارية، سنة 1978، جمعته ابنته هالة من مذكراته ورسائله، ومقدمته على أهله وأصدقائه وذاكري فضله والأعزاء منهم: أبوه وأمه وابنه سريّ وأخوه يوسف، وشقيق زوجته نجيب، وشقيقته ميليا وابنتاه، دمية وهالة.

16. **معالم التاريخ القديم:** مترجم، نقله إلى العربية بالاشتراك مع وصفي عنبتاوي وأحمد خليفة سنة 1942.

ثمّ جمعت أعمال السكاكيني تحت عنوان:

المجموعة الكاملة لمؤلفات السكاكيني: وقد طبع في القدس، المطبعة العصرية، سنة 1962. وهي تتضمن معظم كتب السكاكيني التي تمّ نشرها سابقاً، وتنقسم إلى جزأين؛ الأول: في الأدبيات ويضم "ما تيسر" و"لذكراك" و"سريّ" و"فلسطين بعد الحرب الكبرى"، عدد صفحاته 83. والثاني: في اللغويات، ويضم، "الأصول في تعليم اللغة العربية"، و"حاشية على تقرير النظر"، و"عليه قسْ"، و"حروف العربية"، عدد صفحاته 333.

هذا بالإضافة إلى العديد من المقالات التي نشرها في الصحافة، ومنها:

- كلمات في سبيل الحياة، مجلة السفور، 1918/10/7.
- فلسفة القوة، مجلة القافلة، 1947/10/10.
- مقالة السارق والمسروق، مجلة القافلة، 1922/5/1.
- الزلزلة التي ضربت فلسطين، الشورى، 1927.

والعديد من المحاضرات التي ألقاها في جمعية الشابات المسيحية بالقدس Young Women's Christian Association - Palestine (Y.W.C.A) سنة 1943، وغيرها في النادي القومي في يافا في 1943/3/23، والنادي الأرثوذكسي في القاهرة، والنادي الشرقي في القاهرة أيضاً، والجامعة الأمريكية بالقاهرة.

كما شارك في المؤتمر الثقافي العربي الأول الذي عقد في بيت مري بلبنان، صيف 1947.

رابعاً: محمد إسعاف النشاشيبي:

هو محمد إسعاف النشاشيبي توفي سنة 1368هـ/1948م، كاتب، أديب، ناظم، لقبوه "بأديب العربية". والشيخ علي الطنطاوي وصفه بأديب العربية الأكبر، وغيره أضفى عليه صفة، أديب فلسطين الكبير، وخطيب فلسطين. أما هو فاختار لنفسه كنية أبي الفضل، تشبهاً بأبي الفضل الهمذاني، صاحب المقامات، بديع الزمان[92]. وما ذاك كله إلا لأنه امتلك زمام اللغة العربية، وحاز ناصية البيان والبلاغة فيها. عرف أسرار

اللغة وبواطنها، وكان له أسلوب في الكتابة يكاد يكون وقفاً عليه، نسيج وحده في الكتابة والخطابة[93].

والده عثمان بن سليمان النشاشيبي، ثاني أكبر ملاك الأراضي في قضاء القدس، إذ كان يملك 15 ألف دونم في القدس، وأراضٍ في قرى المزيرعة وشلتا وقطرة وواد المزار وملبس وأم صفاه وفي يافا[94]، إضافةً إلى الدكاكين والمنازل والعمارات في شارع اسكندر عوض بمدينة يافا، الميناء الرئيسي لفلسطين، التي امتلكها عثمان بن سليمان[95]. ولعله ورث الكثير منها عن جده الأكبر أحمد بن رجب النشاشيبي، أحدُ رجال السلطان المملوكي الظاهر جُقمق، 842-857هـ/1438-1453م، حيث كان يتولى الإشراف على دار صناعة النشاب في الجيش المملوكي، ومنح إقطاعات واسعة من الأراضي، بموجب نظام الإقطاع العسكري في السلطنة المملوكية.

كان والده من أبرز رجال عصره ذكاءً وبسطة حال، تقلَّبَ في المناصب حتى انتخب عضواً في مجلس المبعوثان العثماني. وكانت له علاقاتٌ قوية مع مراكز القوى المحيطة بالسلطان العثماني عبد الحميد الثاني، في إسطنبول.

تزوَّج والده بامرأتين، إحداهما من آل الدزدار، الأسرة المقدسية المعروفة، والأخرى فاطمة بنت مصطفى إبراهيم عيسى أبو غوش، شيخ قرى ناحية نعلين التي تضم ثلاثين قرية. واعتاد شيوخ الناحية من عائلة أبو غوش، أخذ أتاوة من كلِّ إنسان أو بضاعة تمرُّ من بلدهم، فهم يتحكمون في الطريق ما بين القدس ويافا، وكانوا يفرضون على الفلاحين بيع إنتاجهم لشيخ أبو غوش، وبالأسعار التي يفرضها الشيخ (مدير الناحية). وفي دفاتر المهمة المكتومة فرمانات أرسلها السلطان العثماني إلى شيخ أبو غوش يخاطبه فيها بـ"قدوة الأماجد والأعيان، شيخ أبو غوش، زيد مجده"[96]، أما الشيخ أبو غوش فلقَّب نفسه وعائلته بـ"ملوك أو سلاطين البر". ورزق عثمان من زوجته فاطمة بولد واحد هو محمد إسعاف، وابنتان توفيت إحداهما في صباها، والثانية كوثر، والدة هشام وناصر الدين وعصام النشاشيبي.

ولد محمد إسعاف، على الأغلب سنة 1885[97]، في القدس، في قصر والده، الكائن في القدس القديمة، يمنة طريق الآلام، من باب العمود إلى الحرم الشريف[98]. وفي المدينة المقدسة نشأ الفتى محمد إسعاف، الذي نال الحظوة من والده ومن أسرة والدته، فكان الوالد وجده وأخواله من آل أبو غوش يسجلون مساحات واسعة من الأراضي باسم

الفتى المدلل محمد إسعاف، سواء من حصة والدته أو ما يشترونه لوالده عثمان من الفلاحين المظلومين في ناحيتهم، منعاً لتسرُّب الأراضي لابن ضرَّة ابنتهم محمود ضرار من زوجته الدزدارية بحكم الإرث. فكان نصيب أخيه محمود ضرار محدوداً وقليلاً[99]، بخلاف محمد إسعاف الذي ظفر بنصيب الأسد من الأراضي والعقارات.

وحين بلغ الفتى مرحلة التعليم، دفع به والده إلى كبار شيوخ الكتاتيب في المدينة المقدسة، حيث تعلم القرآن والعربية والخط، وشيئاً من الحساب والفقه، وأتمَّ المرحلة الابتدائية والثانوية، وفق النظام التعليمي العثماني، في مدرسة الفرير، التي تُرَكِّز في مناهجها على تعليم اللغة الفرنسية[100]. ويبدو أن والده كان حريصاً على تشجيع ولده على حضور المجالس الأدبية التي تعقد في قصره، ويحضرها الأدباء، ويتقارض روادها الشعر، ويتذاكرون الأدب ومسائل الفقه، ومنهم، محمد جار الله، وعارف الحسيني، وموسى عقل، وأسعد الإمام، وراغب الخالدي، وكامل الحسيني (المفتي)، ورشيد النشاشيبي، وعبد السلام الحسيني وغيرهم. وكان الشاب محمد إسعاف يرتاد المجالس والحلقات، ويسمع نوادر اللغة والأدب، ويجد في مكتبة والده نفائس الكتب، ويطَّلع على أمهات كتب التراث والأدب في خزائن كتب شيوخ القدس وعلمائها. ومن الجدير بالذكر أن المدينة المقدَّسة عرفت في هذه المرحلة من تاريخها عناية فائقة بمجالس الأدب والطرب، وخاصةً بعد الاحتلال البريطاني للمدينة سنة 1917[101]، وروادها على الأغلب من كبار شيوخ الأسر المقدسية وشبابها[102].

ومن ثمَّ اقترح الشيخ راغب الخالدي على عثمان النشاشيبي أن يرسل ابنه محمد إسعاف للدراسة في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت، حيث أمضى فيها أربع سنوات. تتلمذ خلالها على عبد الله بن الخوري مخائيل البستاني ت 1930، وكان عبد الله البستاني أستاذ اللغة العربية في المدرسة، وعُرف بإتقانه للغة العربية وبمهارته في النظم والنثر، وكان لأستاذه عبد الله البستاني تأثير كبير عليه، فقد أورثه عشق الأدب القديم، والعناية بغريب الألفاظ، والبحث عن أصول المفردات، والشغف باللغة العربية وأسرارها وألفاظها وأساليبها، وكأن إسعاف مُلِكَ بطابع أستاذه اللغوي، ونسج على منواله فيما بعد[103]. وكان محمد إسعاف يحضر دروس أستاذه الأخرى في مدرسة دار الحكمة المارونية، التي أدارها البستاني خلال السنوات التي قضاها محمد إسعاف دارساً في بيروت.

وفي بيروت أيضاً تأثَّر النشاشيبي بالشيخ مصطفى بن محمد بن سليم الغلاييني ت 1944. ولعلَّ ذلك كان بحضوره الحلقات العلمية التي كان يعقدها الشيخ الغلاييني في الجامع العمري الكبير في بيروت، فقد اعتاد الشيخ الغلاييني على تدريس العربية والجغرافية والتاريخ والفقه والنحو والصرف والبيان في الجامع المذكور، إذ لم نعثر في سيرة حياة الشيخ الغلاييني على أيَّة إشارة تفيد بإلقائه الدروس لا في مدرسة البطريركية ولا في مدرسة الحكمة.

ومن الناحية الأخرى، فإننا لا نعتقد أنَّه تتلمذ على الشيخ محيي الدين بن أحمد بن إبراهيم الخياط ت 1332هـ/1914م. وهو شيخ مصطفى الغلاييني، ولعلَّه سمع منه خارج المدرسة البطريركية شيئاً من النحو والصرف والفقه والتوحيد، ولكن محمد إسعاف تأثَّر إلى حد كبير بعناية الشيخ محيي الدين الخيَّاط بديوان أبي تمام، فقد وقف محيي الدين الخيَّاط على طبعه وفَسَّر غوامض ألفاظه اللغوية[104]، كما حقَّق العديد من الدواوين الشعرية الأخرى[105]. وهو ما سيظهر في كتابات محمد إسعاف فيما بعد. وفي بيروت زامل النشاشيبي شكيب أرسلان وشبلي الملاط وبشارة الخوري صاحب البرق في المدرسة، كما حسَّن لغته الفرنسية وصار يقرأ بها بعض كتب الأدب الفرنسية، إضافةً إلى إجادته اللغة الإنجليزية ومعرفته بالتركية.

في بيروت تكوَّنت شخصية محمد إسعاف الأدبية، وعاد سنة 1905 إلى بلده مزهواً بعلمه وأدبه، يحمل معه قصيدة قالها في وداع مدرسته وأساتذته، كتبها بماء الذهب، ووزعها على أصدقائه، مفتخراً بما حصَّله من علم وفائدة[106].

كان محمد إسعاف يطمح بعد عودته أن يروي غليله من اللغة والأدب وذخائر التراث العربي، حيث لا مدرسة من بعد، أما والده فكان يريده أن يساعده في إدارة أملاكه وثروته الطائلة، ويكون عوناً في ضبط ومراقبة الفلاحين الذين يعملون في أرضه استئجاراً بنصيب مُقدَّرٍ من الإنتاج، الربع أو الثلث، وفق الشروط المتفق عليها بين والده وجماعات الفلاحين. وفشل محمد إسعاف في نظر والده في مهمته الأولى، فقد كلفه والده بمحاسبة فلاحي قرية النعانة، بينما وجدها محمد إسعاف فرصته الذهبية، فاصطحب معه عدَّة كتب وانزوى يطالع كتبه، وترك للفلاحين تقدير ناتج محاصيلهم كما يريدون. فهاج الوالد وماج، وعاقبه بالتقتير عليه بالنقود، وهو الذي كان يريدها لشراء ما تتوق إليه نفسه من كنوز كتب التراث والأدب. وعالج محمد إسعاف قبوض يد والده عليه،

بأن باع قطعةً من الأرض المُسَجَّلة باسمه، وثار جنون الوالد وأضمر الشر لابنه، فطلب منه التنازل عمَّا سجَّله باسمه من أملاك، ورفض محمد إسعاف بإصرار، فما كان من والده إلا استغلال نفوذه لدى الدوائر الأمنية، وطلب من الشرطة إلقاء القبض عليه، ومن باب الخليل حتى السوق الجديد، والشاب يطلق ساقيه للريح هرباً من البوليس حتى أمسكوه، وانهال الوالد عليه ضرباً، وقد تجمهر المارة والناس، وهرع السكاكيني وأصدقاء الوالد عليه ينقذون محمد إسعاف ويترضون الوالد، والولد يصرخ: أتضرب يا عثمان فخر بلادك، ولكن دون جدوى! وساق رجال البوليس محمد إسعاف إلى السجن، حيث قضى أياماً، عقوبة وتربية، أما الوالد، فركب بغلته وجعل الولد يخاطب السكاكيني وهو بين يدي الشرطة: يا سكاكيني، أهذه آخرة من يقرأ مقدمة شميل (أي كتاب شميل على مذهب دارون)[107].

لقد كان والد محمد إسعاف يرى أن العلم لا يُسمِن ولا يُغني من جوع، إنما هو ترفٌ فكريٌّ تُحلَّى بها المجالس، والخير كل الخير في المال. والولد مشغوفٌ بالقراءة والمطالعة والكتابة.

وتدخل حاكم القدس، جبرائيل حدَّاد للإصلاح بين محمد إسعاف ووالده، وكان ردُّ محمد إسعاف: ما يصلح بيننا ليس جبرائيل ولكن عزرائيل[108]. وكثيراً ما ردَّد محمد إسعاف أبياتاً من الشعر نظمها، وصف حاله وحال وطنه:

قد كنت أطمع أن أرى ... وطني بهيجاً زاهياً
فوجدته من كل علم ... أو علاء خالياً
فرثيته وندبته ... وسكبت دمعي غالياً[109]

وانصرف محمد إسعاف بكليته إلى الأدب والكتابة، وفي مجلة الأصمعي التي أصدرها حنا العيسى، التقى ثلاثتهم؛ العيسى والسكاكيني ومحمد إسعاف، واختار كل واحد منهم له كنية. حنا العيسى، صاحب المجلة، تكنَّى بأبي سعيد تمثلاً بأبي سعيد الأصمعي، والسكاكيني بأبي الطيب، تيمُّناً بالمتنبي، ومحمد إسعاف النشاشيبي بأبي الفضل اقتداءً بالهمذاني، صاحب المقامات البديعة، وشاعت الكنى على الألسنة من خلال مقالاتهم في المجلة[110]، وانطلق عنان النشاشيبي في الكتابة؛ فكتب في مجلة النفائس التي أسَّسها خليل بيدس سنة 1908، وعلى مدى تسع سنوات، ما خلا مجلدٌ فيها من نثرٍ أو شعر أو مقالة لمحمد إسعاف حتى توقفت[111].

وكتب في مجلة المنهل المقدسية، وفي العديد من المجلات العربية، مثل الرسالة القاهرة والبلاغ واللواء المصري والأخبار والسياسة وكوكب الشرق المقتطف وغيرها كثير. وكان محمد إسعاف قد انضم لعضوية جمعية الآداب التي أنشأها داود الصيداوي ت 1908، الموظف في بنك كريدي ليونيه Le Crédit Lyonnais[112].

وحين جدَّد القائد العثماني، أحمد جمال باشا، الذي ينعته بعض الكُتَّاب العرب بالسفَّاح، المدرسة (الكلية الصلاحية) التي كان صلاح الدين الأيوبي قد أنشأها سنة 853هـ/1449م، جعل منها أحمد باشا معهداً دينياً علمياً، تدرس فيه العلوم الإسلامية والعلوم الحديثة من فيزياء وكيمياء وغيرها، وكذلك اللغات؛ العربية والتركية والفارسية والإنجليزية والفرنسية والألمانية، بهدف تأهيل كوادر إسلامية تبعث إلى مختلف أقطار العالم الإسلامي، لتحريض شعوبها على الثورة ضدّ الاستعمار الأوروبي. وبسعي من رستم حيدر، مدير المدرسة، عيَّن أحمد جمال باشا النشاشيبي أستاذاً للغة العربية، وكان محمد إسعاف قد توارى عن الأنظار لئلا ينتظم في سلك الجندية العثمانية، غداة اندلاع الحرب العالمية الأولى، فأخرجه رستم حيدر من مخبئه، وعُيِّن في الكلية الصلاحية[113]. وبعد احتلال القوات البريطانية للقدس، عيَّنه الحاكم العسكري البريطاني سنة 1918 أستاذاً للغة العربية في المدرسة الرشيدية بالقدس، أشهر مدارس فلسطين آنذاك، ثمّ مديراً للمدرسة، ورقّي إلى رتبة مفتش للغة العربية في معارف فلسطين، وظلَّ فيها حتى سنة 1929. وضاق محمد إسعاف بالبريطانيين وسياستهم في فلسطين، ورأى أن العمل موظفاً مع سلطات الاحتلال وتفشِّي النفوذ الصهيوني، إنما تحطُّ من قيمة الإنسان، وتعلِّمُهُ التزلُّفَ والمهانة والسرقة، عدا أنها تُميتُ الضمير والإحساس، وكانت مشاكله مع مدير المعارف ومساعده البريطانيين في حكومة الانتداب في فلسطين لا تنتهي[114]، فعزف واستقال، وأخذ على نفسه عهداً ألا يمتهن أيَّة وظيفة، لا سيّما وأنَّ "عزرائيل قد حلَّ كافة مشاكله العائلية" !!.

يقول محمد إسعاف نظماً:

عشقوا الوظائف ضلة لهواهم ورأوا بها العلياء شامخة الذرى
خالوا السعادة عندها أوما دروا أن الرزايا في الوظائف والشقا
تدعو العزيز إلى المهانة والذل شر ما كرث الفتى[115]

وكان محمد إسعاف، قد ابتنى لنفسه سنة 1922 قصراً على بقعة مرتفعة شمالي حي الشيخ جرَّاح، أشرف على بنائه المهندس اليوناني سبيرو خوري Spiro Khouri اليوناني الأصل، زيَّنَهُ بالفسيفساء والرخام، وفرشه بفاخر الأثاث الفرنسي، وأحاطه بحديقة غنَّاء، وقد أنجزه بصورة كاملة سنة 1938[116]. واستضاف به فيما بعد نخبةً من رجالات الفكر والأدب وأعلام الفكر والسياسة والاجتماع، ومنهم الأمير فيصل بن عبد العزيز وأخوه الأمير خالد، وهما في طريقهما إلى لندن سنة 1937[117]. وتفرَّغ للمطالعة والكتابة وجمع الكتب، وتيسَّر له اقتناء الكثير من الكتب النادرة، وكانت مكتبته من أفضل المكتبات في القدس. لقد جمع نفسه على العلم والاشتغال به، فكان ينقطع عن أصحابه أسابيع وشهور، فيظنون أنه في سفر[118]، ومما أفرحه انتخابه عضواً مؤازراً للمجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1923[119].

وغاص محمد إسعاف في بطون أوابد كتب التراث وذخائره، وقضى شهوراً في دراسة ومطالعة آي الذكر الحكيم، وكتب الأحاديث والمسانيد، وعرج على الثقافة الأوروبية الحديثة، فقرأ العديد منها بلغاتها الإنجليزية والفرنسية. لقد كان أستاذ نفسه وثقَّفَ نفسه، فاكتنز ثقافة عربية أصيلة منفتحة على التيارات الفكرية الحديثة في أوروبا، وقد أجاد صيد الكلمات، والنوادر والمختارات، فالعلم عنده صيد، والكتابة قيده، ويوصي: قيّد صيودك بالحبال الموثقة[120].

العلم صيدٌ والكتابة قيدُهُ قيِّد صيودك بالحبال الموثقة

فكره:

الثقافة العربية الأصيلة هي التي صاغت فكر إسعاف النشاشيبي، فقد كان من أوعية ينابيع الفكر العربي الإسلامي المتمثلة في القرآن الكريم، والحديث النبوي الصحيح، والأدب العربي، واللغة العربية، وثقافات الشعوب التي انتشر الإسلام بين ربوعها. وكانت كتابته تفيض بحب العروبة والإسلام، ولكن بأسلوب حماسي وبمزاج ناري، تبعده أحياناً عن حقيقة ما يقصده، ويُفهَم خلاف ما أراده.

إنَّ دراسة مصنَّفات محمد إسعاف النشاشيبي وخطاباته ومحاضراته واختياراته ومنظوماته؛ تحدِّد ملامح القضايا المهمة التي حاول أن يبدي فيها رأياً، وبالتالي بدت وكأنها أفكار تبنَّاها ودافع عنها بأسلوبٍ علمي حيناً، وبأسلوب أدبي خالجته العاطفة الصادقة، ولكنه على أيِّ حال كان يرفض التقليد والتعصب الأعمى.

كان كتابه "الإسلام الصحيح" يمثل مرحلةً مهمةً في تطوُّر فكر محمد إسعاف النشاشيبي الديني، فقد ابتدأ شاعراً وأديباً ومنشئاً وناقداً، وانتهى كما يرى إسحق موسى الحسيني فقيهاً مجتهداً[121]. فقد أراد من كتابه "أن يثبِّت للمسلم دينه، ويقوي إيمانه ويقينه، ويحامي عن كتاب الله، ويذود عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويدعو الناس كافةً إلى هدى الله"[122].

كان محمد إسعاف النشاشيبي عنده محبةٌ صادقةٌ للقرآن الكريم، يعتزُّ به ويؤثره على كل كتابٍ آخر في هذا العالم، يقول: "جاء مع هذا النبي الكريم، كتابٌ عظيم، إعجازه فاق بلاغة العرب الخلصاء، وفصاحة مصاقع الخطباء، وخناذيذ الشعراء متحاقرة، متضاءلة بين يدي بلاغته وفصاحته". ويضرب مثلاً أنه إذا أنشأ القرآن بذكر الجنة والجحيم كاد سامعه يشهدهما، ويضيف:

> ربما أوغل فريقٌ من هؤلاء الزمنى، زمنى العقول، في الجهالة والغي والفساد والقحة والجنون والبهمية، هؤلاء لا أدري كيف أصفهم، قالوا (نعوذ بالحقيقة من قولهم... وناقل الكفر ليس بكافر) إنَّ نهج البلاغة المعزو إلى علي بن أبي طالب أو أمثال نهج البلاغة، هي مثل القرآن، أي مثل الكتاب الذي هو جوهر جوهر جوهر اللغة العربية[123].

والنشاشيبي يذهب في فكره إلى أن الإسلام هو القرآن وما جاء به، أما ما كتبه العلماء والفقهاء ففيه نظر، الإسلام هو المساواة والعدل والعزة والانتفاض يقول: من لَدُنَ الله يسير في الأرض هادياً ودليلاً، ذلك هو القرآن الذي يتلوه القارئون: إباءُ الأبي، وعزُّة العزيز، ووفاء الوفي، وكرم الخلق، والصدق وقول الحق، والعدل في الحكم، والكفر بسلطان الأجنبي "ومن يتولهم منكم فإنه منهم"، والتواضع "واخفض جناحك للمؤمنين"، والنظر والبحث والعلم والتعليم وداد، بل أخوة بين المؤمنين "إنما المؤمنون إخوة".

القرآن في نظر النشاشيبي هو الأساس، والنشاشيبي ينقد الأحاديث غير الصحيحة وحتى التفاسير، وهو يستخدم لغة قوية تنطبع أحياناً بطبعه الناري ومزاجه الحاد، وقد تعرَّض لنقد مرير من يوسف بن محمد الكافي، أحد علماء الشيعة الذي كتب كتاباً عنوانه "نقض إسلام النشاشيبي الصريح بصريح الأدلة التي يفهمها الأعجمي والفصيح"[124]، وكان النشاشيبي قد أورد آراء عن الإمامة وفسّر آية التطهير والتفسير بالتأويل مما أوجب الردَّ عليه[125].

وكان محمد إسعاف يردِّد دوماً: إذا أردنا فهم القرآن الكريم حقاً وصدقاً، علينا أن نفهم لغته[126]، فاللغة وسيلةٌ للتفقه في الدين وفهم أسرار القرآن[127]، وحين نشر من سمّى نفسه، إبراهيم العربي، كتاباً يدّعي فيه بوجود أخطاء لغوية في القرآن، تصدَّى له، وردَّ عليه بعدة مقالات على صفحات مجلة الرسالة[128].

وكان لمحمد إسعاف دفاعٌ عن النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، يقول:

أي معنى للكون إن ذهب منه اسم محمد

أي معنى للكون إن ذهب منه قرآن محمد

أي معنى للكون إن ذهبت لغة محمد

محمد معنى هذا الوجود

محمد سيد هذا الوجود

محمد جمال هذا الكون[129].

ويضيف في مقامٍ آخر: لولا محمد والعرب والمسلمون، ما تقدَّم الغربيون. ويسترسل فيقول:

> وبينما العالم يرتقب هاديه، وقد تطاول ليل ضلاله وحيرته، صات صائت في فلاة، لم تعتد الناس أن تسمع فيها للخير دعاء، فأرهف لاستماع ما يقول الصوت أذنه، فإذا هو يوقظ الهاجد في عماه. وينادي إلى الحق وصراط مستقيم، وذلك الصائت هو سيدنا وزعيمنا وإمامنا ومصلحنا وقُرَّة أعيننا ومهوى أفئدتنا؛ شرَّف العرب، بل المشارقة، بل قطيف الأرض قاطبة[130].

وفي مؤتمر جمعيات الشبان المسلمين الرابع، وبتاريخ 25 ربيع الثاني 1351هـ الموافق 1932/8/28م بمناسبة الذكرى الخالدة لمعركة حطين، وقف محمد إسعاف خطيباً وأخذ يقول: "محمد بن عبد الله، نحن عبيدك، ونحن عبيد عبيدك، نحن منتمون إليك، منتمون إلى قرآنك، منتمون إلى دينك، منتمون إلى عربيتك، فماذا نريد؟ أدركنا، نجنا، خلِّصنا، أنقذنا، إنَّ الأعادي تداعت من كل صوبٍ علينا"[131].

لقد أصدق محمد إسعاف الأمة القول، وكان لسان صدقٍ دفاعاً وانتماءً للقرآن الكريم ورسول الله الكريم.

اللغة العربية في فكر محمد إسعاف:

عشق النشاشيبي اللغة العربية، فهو كما يقول "يرى الله من خلالها"، قرآن الله وشريعته لا يراها إلا سامية عالية راقية مدهشة ساحرة[132]. وعنده "اللغة هي الأمّة، والأمّة هي اللغة، وضعف الأولى ضعف للثانية، وهلاك الثانية هلاك للأولى، وما الأمّة إلا لغتها وأدبها وخلقها"[133].

يقول نظماً:

لغة الجزيرة حقها الإنصاف — من ترتجيهم، صيدها الشغاف
إن عقَّها أهل الضلال فإنَّما — بربِّها وبربّها إسعافُ
هذا البيان محمد أوصى به — فله على قول الورى إشرافُ
هو روحُ من عشق الكتاب وإنّه — سم لشائنه البغيض زعاف[134]

وفي كتابه "نُقْل الأديب" يطنب محمد إسعاف في التغني بمزايا اللغة العربية وتفوقها على كافة اللغات، إذ جمعت الحسن كله في نظام، فيها الفصاحة والبلاغة والتجود والتذوق والإيجاز والإطناب، وفيها البيان الساحر، ويقرر: إذا تنافرت اللغات يوماً وتساجلت، جاءت فتاة الجزيرة، سيدة عقيلة وجئن إماء[135].

كان غيوراً على العربية، شغوفاً بآدابها، تغنَّى بمحاسنها، ودافع عنها، وحمل على المستخفين بها، وحاول إظهار ما فيها من مزايا[136].

إنَّ محمد إسعاف يرى أن اللغة هي الأمة، والأمة هي اللغة، كما سبق الإشارة إليه، وفي هذا الرأي بُعدٌ قومي وديني وإنساني. فالبعد القومي يدعو إلى التمسُّكِ باللغة الأصيلة، لغة القرآن الكريم، فتكون نقية سليمة، بعيدةً عن الغث والضعيف، فيسهل التفاهم بها بين أصحابها فلا يتشرذمون، وبالتالي تكون من أهم الروابط القومية لأبناء الضاد. والبعد الديني يدعو إلى معرفة اللغة العربية، لسان مبين، فإعجاز القرآن الكريم لا يدرك كنهه إلا من عرف لغته العربية، فيقوى الإيمان به. وهي ثالثاً دعوة إنسانية لنا، نتعود الصدق والأمانة العلمية، ونحافظ على شريحة من التراث الإنساني، ولأن اللغة النقية السليمة تساعد على تنقية العقل[137].

وعلى الجانب الآخر، فقد عرض محمد إسعاف في كتابه "كلمة في اللغة العربية" العديد من القضايا التي ركَّزت في جانب منها على حاضر اللغة العربية، وتصدّت لتفنيد

آراء المنتقصين لملائمتها للعصر تحت ذريعة التقدم ونبذ الجمود والتخلف، وبذل رأياً في ترقية تدريس اللغة العربية، والوفاء بحقها في التجديد. وفي سرد تاريخي تناول النشأة والبلاغة والإعجاز في القرآن الكريم والحديث، الصحيح منه والضعيف، وقواعد اللغة العربية في صدر الإسلام والعصر الأموي وأثر الموالي في إفساد قواعدية اللغة[138].

ولخّص إسعاف طريقته ومنهجيته في ترقية تدريس اللغة العربية والتي تقوم على: اختيار النصوص من القرآن والحديث، والخطب البليغة والأمثال السائرة والقطع النثرية الجميلة، ثمّ قراءتها للطلبة بفهم ومتعة وشخصية قوية، ومن ثمّ التعليق على المفردات، بشكلٍ يكشف أسرار الألفاظ ودلالتها المعجبة الدقيقة، ثمّ تكليف الطلبة بالحفظ، وسماعه ما حفظوه. إذن فالمدرس والكتاب هما وسيلتا النشاشيبي لترقية اللغة[139]، ومع أنه يؤمن بضرورة تجديد اللغة، ولكنه التجديد الذي يحفظ اللغة من كل ما يؤدي إلى إفسادها أو اضمحلالها، ويرى التجديد تنمية وتطوراً للحضارة من جانبها الأدبي واللغوي؛ فلا نقضي على اللغة ونعتمد العامية أو نلغي القافية بدعوة حرية الشعر وتجديده. وينعى على الذين يقولون بلزومية استخدام اللهجة العامية، دون الفصحى، لأنها لغة التخاطب اليومي في كافة مجالات وميادين الحياة، ويصف دعاة العامية إما ذئب أو زنيم أو جاهل أحمق. ويعزو سبب التدني في حاضر اللغة إلى الكبراء والحكام الذين تلقوا تربيةً أجنبية، أو إلى المدرسين الذين يدرِّسون تلاميذهم بلغة عامية[140]. كما رفض بصورة قاطعة استبدال الأحرف العربية باللاتينية، ومحاكاة أتاتورك في ذلك، وإنما رأى وجوب التمسُّك بها، وتحسين أساليب الكتابة والتعبير[141].

ويفهم من كتابات محمد إسعاف أنه التزم بالدعوة إلى الاستفادة من التقدم العلمي في الغرب، وضرب أمثلة بنقل العلماء المسلمين والعرب الأوائل الكثير من العلوم عن اليونان بعد تحريرها وتنقيتها وتهذيبها وتشذيبها، ويقول: "تلكم مدنية الغرب، فالخير كل الخير في أن نعرفها، والشر كل الشر في أن نجهلها. وأما إذا عاديناها وهي السائدة الساطية استعلتنا، وهي مدنية غمرت الكرة الأرضية، فليس ثمّ عاصم، وإن آويت إلى المريخ، ولن يُنجينا من عفاريت، غيرها، ولن يبعد عنا شرهم إلا خيرها"[142]، فعنده المدينة الغربية ضرورية جداً، بحيث لا يمكن الاستغناء عنها لاستكمال النهوض العربي في هذا العصر.

ولم تغب قضية وطنه عن فكره وأدبه، فالقدس يجب ربطها بكل العواصم العربية، فعزلتها أو انقطاعها سيؤدي إلى موتها، ولم يكن يعترف بحدودٍ بين قطر وقطر، فالعرب أمةٌ واحدة، يجمعهم وطنٌ واحد، ويقول في ذلك:

فسعادتي يا ابن الكرام وبغيتي ومراميا
أن تصبح العرب الأذلة سادةً وموالياً[143]

ويدعو أبناء قومه لبذل الدماء بدل الدموع، رثاءً لوطنه التي تحيق به ألاعيب بريطانيا المستعمرة وأطماع العصبات الصهيونية:

فلقد ولت فلسطين ولم يبق يا أخت العلى غير دماء
إنها أوطانكم فاستيقظوا لا تبيعوها لقوم دخلاء[144]

وكان محمد إسعاف يكره أحزاب فلسطين العائلية، ويراها إهداراً لطاقات الوطن، فلم ينضم لأيِّ حزب، وكره لبس الطربوش، العلامة المميزة لآل النشاشيبي، حزب الدفاع، وكره لبس الكوفية علامة الهيئة الموالية لآل الحسيني، فكان يضع على رأسه شاشة بيضاء مبرومة وملفوفة على الرأس كالعمامة، ومع ذلك فقد ربطته صداقة مع الحاج أمين الحسيني، وإذا ما سأل محمد إسعاف عن الحسيني، قدّم لسؤاله، أين ابن بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم[145].

مصنفات محمد إسعاف النشاشيبي:

وضع محمد إسعاف العديد من المؤلفات تراوحت بين الكتاب والبحث والمقالة والخطبة والمحاضرة، كما طرق باب النظم، ولكنه عزف عنه، لأنه لم يحقق له ما يريده من علو كعب في الشعر، واتجه بكليته نحو الأدب المنثور فحاز السبق ومن مؤلفاته:

1. **الإسلام الصحيح:** ويعدُّ من أعظم آثاره، فقد اعتمد نقد النصوص وتحقيقها، يسندها علم واسع، وفيه توضيح لعدد من الحقائق ونقدها وتحليلها ودحض الأباطيل (التي يسميها الأشتات) التي سار عليها الناس وقتاً طويلاً، وتنزيهاً للإسلام من البدع التي لحقت به، وعرض للإمامة وآيات الطهارة والعصمة. وقد نُقد هذا الكتاب نقداً مُراً من قبل بعض علماء الشيعة، وطُبع في القدس، مطبعة العرب، 1354هـ/1935م، يقول إبراهيم المازني: أدهشني ما في "الإسلام الصحيح" من تحقيق، شرعت أقرأه مساء، ولم أقوَ على تركه، وفرغت منه مطلع الفجر.

2. **البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي:** أصلها خطبة ثمّ طبعت في كتاب، يعدّد فيه مناقب كل من البطل والشاعر، ويتحدث عن دور كل واحدٍ منهما في الارتقاء بأمة الإسلام ولغة الإسلام، العربية، وطُبع في القدس، 1932، أعاد طباعته اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بدمشق، سنة 1984.

3. **البستان:** كان شيخه عبد الله البستاني قد وضع مؤلفاً بعنوان البستان، معجم عربي في جزأين، ولما وضع محمد إسعاف كتابه مجموعة النشاشيبي وجدها صعبة على الطلاب، فاختار للطلاب مجموعةً أخرى أسهل مما ورد في المجموعة الأولى، وأطلق على المختارات الجديدة اسم "البستان" وجعله للمدارس الأولية والابتدائية، وجاء في سبعة أقسام، وكان كتاباً مدرسياً مقرراً في مادة المطالعة في مدارس فلسطين، ذكر في مقدمته: ما الكبير بأحق بالعناية بشأنه من الصغير، وليس الشادي بأحوج إلى كتب في العلم والأدب يحتفل فيها العلماء من البادي، بل الثاني في هذا الأمر هو الأول والأهم المقدم، وإن على الذي يلقنه في بدء تثقيفه المعول. وقد قدّمت مجلة المقتطف الكتاب بالقول: حديقة غنّاء، جمع فيها الأستاذ النشاشيبي من فنون الأدب العربي، كل زهرةٍ وثمرةٍ يانعة، وقد قرظه العلاّمة الشيخ محمد بهجة الأثري البغدادي وغيره[146].

4. **سيرة العلم وسيرتنا معه:** المحاضرة الأولى التي ألقاها في الكلية الصلاحية بالقدس، عند تعيينه مدرساً للغة العربية فيها، حثَّ فيها الطلاب على الدراسة في الغرب، والانفتاح على التقدُّم العلمي في الغرب. وقد قرظه انستاس الكرملي في مجلة لغة العرب فقال: "فما أجدر هذه الكلمة في سيرة العلم بأن تتلى بمنزلة آي صباح مساء، لتنطبع محكمات عباراتها في الخاطر، فيجري عليها كل شاعر وناثر"[147]. طبع في القدس، دير الروم الأرثوذكس، 1916، 1922.

5. **سيفيات المتنبي:** نثر الشعر، قول في أبي الطيب المتنبي، محاضرات المجمع العلمي العربي، دمشق، الجزء الثالث، تموز 1936، صفحة 127-143.

6. **شرح أمثال أبي تمام الطائي:** اعتبره النقاد خير كتاب، بدأ في الأدب العربي في هذا العصر، نُشِر تباعاً في مجلة النفائس، 1912، وقد جمع فيه أمثال أبي تمام كما فعل الصاحب بن عبَّاد في جمعه لأمثال أبي الطيب المتنبي.

7. **العربية وشاعرها الأكبر أحمد شوقي:** أساسها خطبة ألقاها في مهرجان شوقي ودوره في خدمة الأدب واللغة في مؤتمر مدراء المدارس في معارف فلسطين، 1927/4/21. ويعكس غيرة وتحمس محمد إسعاف على اللسان العربي.

8. **العربية المصرية:** دفاع عن العربية وذكر لخصائصها وتأكيد لدور مصر في المحافظة على العرب والعربية، طُبع في القدس، 1352هـ/1933م.

9. **العربية والأستاذ الريحاني:** خطبة ألقاها عندما كان يعمل مفتشاً في معارف فلسطين، حيث ركّز على العروة الوثقى في القرآن والفقه، ردّ فيه على وصف الريحاني للأديب محمد إسعاف بأنه مقلد، طُبع في مصر، مطبعة المعارف ومكتبتها.

10. **العربية في المدرسة:** خطبة ألقاها في مؤتمر مدراء المدارس في معارف فلسطين، طُبع في مصر، مطبعة المعارف ومكتبتها، 1928.

11. **العراق في سبيل الحرية:** خطبة ألقاها في حفل تأبين فقيد العراق عبد المحسن بك السعدون في 1929/12/27، أقامت الحفل اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي السابع في بيت المقدس، طُبع في القدس، مطبعة العرب، 1932.

12. **قلب عربي وعقل أوروبي:** محاضرة ألقيت في الجامعة الأمريكية ببيروت، طُبع في القدس، مطبعة بيت المقدس، 1342هـ/1924م.

13. **كلمة في اللغة العربية:** دفاع عن العربية، لا يدانيه دفاع في الأدب العربي الحديث، أذاع صيته في البلاد العربية والقطر المصري، وجهر به في جمعية الرابطة الشرقية في القاهرة، 1924، وتهافت الأدباء بعدها على لقائه، طُبع في القدس، مطبعة بيت المقدس، 1925.

14. **كتاب المبشرين:** (أغلاط لغوية)، فقد نشر من سمّى نفسه إبراهيم العربي، مقالة ادعى وجود أخطاء لغوية في القرآن الكريم، فردَّ عليه محمد إسعاف بمقالات نشرت في مجلة الرسالة ابتداءً من 1938/10/24.

15. **مجموعة النشاشيبي:** طُبع في القاهرة، المطبعة السلفية، 1341هـ/1923م، مجلة المقتطف قدمت المجموعة بالقول إن الأستاذ إسعاف النشاشيبي، أديب فلسطين الأكبر، وأحد مفتشي المعارف في تلك البلاد، ألَّف كتاباً من خير ما قاله العرب

شعراً ونثراً، متوخياً تربية الروح القومية، وتمرين ألسنة التلاميذ وأقلامهم على البيان الفصيح حتى يكون ملكة فيهم، وقد قسم هذه المجموعة إلى خمسة أقسام:

القسم الأول منها، ما تخيره من آيات القرآن الكريم.

الثاني: ما انتخبه من صحيح البخاري.

الثالث: أشهر أمثال العرب.

الرابع: أشهر ما روي عن حكماء العرب وأدبائهم من الأقوال المأثورة.

الخامس والأخير: ما اختاره من المقاطع الشعرية البليغة، وقد فسَّرَ ما فيه من الغامض، والكتاب مطبوعٌ طبعاً متقناً، وقد فسَّرَ ما فيه من الغامض، ويطلب من المطبعة السلفية بمصر[148].

16. **مقام إبراهيم:** خطبة ألقاها في حفلة تأبين إبراهيم هنانو، التي ألقيت في دمشق 15 شوال 1354هـ الموافق 1936/1/10م، ضمَّنها حواشي وشذرات أدبية ولغوية وتاريخه وبيانه، تأبين إبراهيم هنانو (شهيد الثورة السورية ضدّ الفرنسيين)، طُبع في القدس، مطبعة بيت المقدس.

17. **نُقْل الأديب:** نشر معظمها في مجلة الرسالة، وهي عرض للثقافة العربية على اختلاف قطوفها وتباين ألوانها، بلغ عدد ما نشر منها 969 نادرة، على مدى ما يقرب من عشر سنوات، وكان آخر ما نشر منها في عدد كانون الثاني/ يناير 1948. وقد بلغ إعجاب القُراء بها مبلغاً عظيماً، وظهر ذلك الإعجاب على قلم زكي مبارك، إذ كتب: "من واجبي نحو نفسي أن أعلن أني استوحشت لغياب الشذرات النفيسة جداً، الشذرات التي كان ينشرها الأستاذ الجليل على صفحات الرسالة، فمتى يعود"[149].

وهناك مجموعة من المقالات للنشاشيبي، أهمها:

- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تعقيبات على كتاب ياقوت الحموي في معجم الأدباء، نشرت في مجلة الرسالة اعتباراً من 1945/5/14.
- حظي بالشيء، مقالة لغوية في مجلة الرسالة، 1938/5/26.
- حكاية الوفد الكروي، مقالات في مجلة الرسالة، 1948/8/23.

- شوقي والرافعي في النحو، مجلة الرسالة، 1938/4/25.
- قصة الكلمة المترجمة، مجلة الرسالة، 1928/9/25.

وانظر عشرات المقالات في مجلة الرسالة، فقد واصل النشر فيها على مدى عقد من الزمن في الأعداد التالية:

جدول 1/1: أعداد مجلة الرسالة التي نشر فيها محمد النشاشيبي مقالاته

العدد	التاريخ	الصفحة
299	1941/2/24	219
404	1941/3/21	288
575	1944/7/10	130
604	1945/1/29	97
605	1945/2/5	120
606	1945/2/12	140
607	1945/2/19	159
608	1945/2/26	190
609	1945/3/5	215
614	1945/4/1	253
659	1946/2/18	179
663	1946/3/18	199

وهناك عدة خطب في احتفالات، أبرزها:

- تأبين الزعيم محمد علي، 5 رمضان 1345هـ الموافق 1927/3/9م.
- تأبين الحسين بن علي، 18 محرم 1350هـ الموافق 1931/6/5م.
- بيروت والغلاييني: الحفلة التكريمية للعلاّمة الشيخ مصطفى الغلاييني، بيروت، دار الكلية الإسلامية، 1932.
- التفاؤل والأثرية في كلام أبي العلاء المعري، المهرجان الألفي للاحتفال بأبي العلاء المعري، طُبع في دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي، 1938.

ملاحظة: معظم خطبه تمّ طبعها في كتب صغيرة الحجم فيما بعد.

أهم مخطوطات كتب النشاشيبي التي فقدت:

- الأمة العربية.
- حماسة النشاشيبي.
- جنة عدن[150].

وفاتــه:

في شتاء سنة 1947 سافر النشاشيبي إلى القاهرة في رحلته الشتوية ليشرف على طباعة كتبه الثلاث المخطوطة، وليتطبب من مرض الربو الذي لازمه أواخر أيام عمره، وظل مع سُمَّاره وأصدقائه ومحبيه حتى أحسَّ ذات ليلة بألم شديد في صدره، نقل على أثرها إلى مستشفى الدقي، حيث فارق الحياة في الساعات الأولى من صباح يوم الخميس 1948/1/22.

وكانت له جنازة حافلة، شارك فيها الأدباء والعلماء ورجال الدولة، ووري الثرى في مقابر الإمام الشافعي[151].

ولقد رثاه عدد كبير من أصدقائه وعشاق أدبه ومنهم؛ محمد عبد الرحمن الجديلي وداود حمدان وأحمد حسن الزيات ومحمد سليم الرشدان وأحمد لطفي السيد وشكري فيصل وعبد الوهاب عزام، والشاعر عبد الغني حسن، قال في رثائه:

يا غريب الممات ما نحن إلا	غرباء في منزل الغرباء
أخطأتك الأقدار والناس تغلي	في فلسطين والحمى في دماء
وأصابتك في مكان أمين	رب آمن يجد حبل الرجاء
لم تمت ميتة الجبان ولكن	مُتَّ في العلم ميتة الشهداء

ولم يتزوج محمد إسعاف، واكتفى بالأدب، فبمصاهرته له تزيده شرفاً، وهذا ما كتب به إلى صديقه أمير الشعراء أحمد شوقي[152].

قال عنه معاصروه: وعاءٌ من أوعية الأدب[153]. وقال أحمد حسن الزيات: إنَّ النشاشيبي كان خاتم طبقة من الأدباء اللغويين المحققين، لا يستطيع الزمن الحاضر بطبيعته وثقافته أن يجود بمثله[154].

أما أمين الريحاني فيقول: ثلاثة سأذكرهم على الدوام، الحرم الشريف وجبل الزيتون وإسعاف النشاشيبي[155]. وروى كثير ممن كتب سيرة حياته بأن الجمهورية اللبنانية أهدته وسام الاستحقاق اللبناني تقديراً لجهوده الأدبية[156].

لقد نافح النشاشيبي عن دينه وقرآنه ورسوله وأمته العربية والإسلامية، وأمضى حياته باحثاً ومنقِّباً في كنوز التراث والأدب العربي، وكان أديب العربية بكل جدارة واستحقاق.

خامساً: عارف العَـارِف:

هو عارف شحادة العارف توفي سنة 1393هـ/1973م، مُؤرِّخ فلسطيني معروف، وأحَدُ رجال الإدارة والسياسة في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، وفي العهد الأردني بعد وحدة الضفتين الغربية والشرقية في إطار المملكة الأردنية الهاشمية. أسهم في الحركة الوطنية الفلسطينية في بدايتها، وكانت له مواقف سياسية إزاء الوجود العثماني في فلسطين، والاحتلال والانتداب البريطاني والغزو الصهيوني واغتصاب فلسطين منذ 1921-1967، وكذا من الأحداث التي انعكست على علاقة منظمة التحرير الفلسطينية مع النظام الأردني منذ 1966-1973.

يُعدّ عارف العارف أحد اثنين، الآخر هو أكرم زعيتر، كانا من أكثر كُتَّاب اليوميات مداومةً على تسجيل الأحداث التي لفَّت وطنهما، وصنعت التاريخ الفلسطيني الحديث، وإن كان لكل منهما منهجيته ومصادره.

ولد عارف العارف في مدينة القدس سنة 1310هـ/1892م، وأتمَّ دراسته الابتدائية فيها، ثمّ انتقل إلى إسطنبول في ظروف لم تورد المصادر شيئاً عنها، ويبدو أنه كان متفوقاً في المدرسة فاختير لإكمال دراسته في المدارس السلطانية في إسطنبول. وكانت الإدارة العثمانية في الولايات العربية عادةً ما تختار من تتوسم فيهم النجابة والذكاء، وترسلهم إلى العاصمة لتأهيلهم علمياً وإعدادهم؛ تربيةً وولاءً، ليكونوا موظفين في دوائر الدولة ومؤسساتها فيما بعد، وفي بعض الأحيان تتولى الإدارة العثمانية رعاية أبناء الأعيان والوجهاء وأبناء العائلات المتنفذة للهدف نفسه. وأرى بأن عارف العارف قد اختير للسبب الأول، فلم أعثر في الوثائق والسجلات العثمانية ما يشير إلى أن والده أو أسرته كانت من العائلات المتنفذة أو الأعيان أو الوجهاء.

وأكمل عارف العارف دراسته الثانوية في المدارس السلطانية العثمانية، ومن ثمّ التحق بكلية الآداب في جامعة إسطنبول، وحصل منها على درجة الليسانس في الإدارة والاقتصاد والسياسة سنة 1332هـ/1913م.

ومن الجدير بالذكر أنه عمل خلال مرحلة دراسته الجامعية في جريدة بيام Payam (الرسالة)، التركية ليلاً، ليتمكن من متابعة دراسته والإنفاق على نفسه. ولعله من خلال عمله الصحفي واتصاله بالشبان العرب في إسطنبول تنبّهت في نفسه عوامل اليقظة والوعي، فانضم إلى جمعية المنتدى الأدبي، الذي أنشأه الشبان العرب في إسطنبول، والذي يدعو ضمن برنامجه إلى توحيد العرب. ونظراً لنشاطه وحماسه فقد انتخب عضواً في الهيئة الإدارية للمنتدى، لا سيّما وقد عرف عنه، إبَّان دراسته الجامعية، حرصه على تدوين محاضرات أساتذته وتوزيعها على أترابه الطلبة.

ومن ثمّ فقد عُيِّن عارف العارف في قلم الترجمة التابع لوزارة الخارجية التركية، إذ كان يجيد اللغة التركية، وله معرفة باللغة الفرنسية بالإضافة إلى لغته الأم، العربية[157].

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى 1914، تمَّ تجنيد العارف ضابطاً احتياطياً في الجيش العثماني، حيث أمضى في الكلية الحربية مدة ستة أشهر. ومن ثمّ أرسل إلى جبهة القفقاس مع غيره من المتجندين العرب، وكان يتولى الترجمة بين المجندين العرب والضباط الأتراك. وفي إحدى المعارك بين الروس والأتراك، سنة 1915، وعلى مقربة من أرضروم أُسِر، وأرسل إلى سيبيريا، وفي معتقل للأسرى أقيم على مقربة من مدينة قراسنويارست، على شاطئ نهر ينى ساي قضى ثلاث سنوات 1915-1917 سجيناً في هذا المعتقل، القارس البرد، وفي ظروف قاسية مريرة لبعده عن وطنه، ومعاناة الجوع والحرمان.

في المعتقل، حيث يوجد مجموعةٌ من الضباط الأسرى من المجريين والألمان والنمساويين، تعلَّم عارف العارف اللغة الألمانية. يُعلِّمُهم العربية ويتعلم منهم الألمانية، وقد أجادها، حتى إنه نقل كتاب آرنست هيجل Ernst Haeckel "أسرار الكون"، الذي شرح فيه نظرية دارون Darwin's Theory في النشوء والارتقاء، إلى اللغة التركية.

وفي المعتقل، أصدر جريدة حائط، وكان يكتبها بخط يده، دعاها "ناقة الله" لإعلام وتسلية رفاقه السجناء، وكانت في البداية فكاهية هزلية، ثمّ جنحت إلى الجدية والتحليلات الإخبارية السياسية. وقد كانت تجمع الفكاهة إلى الانتقاد والمعالجة الحديثة للأخبار والمواضيع، وقد صدر العدد الأول منها سنة 1916، وصدر العدد 45، العدد الأخير، سنة 1917. وذكر الناشف، أن عارف العارف ما زال يحتفظ ببعض أعدادها في مكتبته، برام الله[158].

وأُعلنت الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف الحسين بن علي، ووصلت أخبارها إلى المعتقل في سيبريا، وقرر العارف وعدداً من رفاقه المعتقلين العرب، الطلب إلى السلطات الروسية إطلاق سراحهم وتمكينهم من الالتحاق بمعسكرات الشريف الحسين بن علي، ورُفِضَ الطلب لأنهم اعتبروا أسرى عثمانيين. وتلاحقت الأحداث، وقامت الثورة الاشتراكية الروسية سنة 1917، ودكَّ البلاشفة Bolshevik عرش القيصر نيقولا الثاني Nicholas II، وقتلوه وزوجته وأولاده وتسلَّموا زمام الأمور، وسرت الفوضى والاضطراب في كل البلاد الروسية فاستغلها عارف العارف ورفاقه وتدبروا أمر هربهم. وعبر رحلة طويلة ومرهقة وصلوا إلى فلاديفوستك Vladivostok، حيث زار العارف القنصل البريطاني في تلك المدينة، وأوضحوا له حالهم وفرارهم ورغبتهم بالالتحاق بمعسكرات الشريف، وكان عددهم 22 ضابطاً وعسكرياً، فاتخذ القنصل الترتيبات لنقلهم على ظهر الباخرة "دنيره" إلى الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، عن طريق جنوب شرق آسيا، عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر.

وحطَّت رحاله وأصحابه أرض الوطن سنة 1918، ليجد الأتراك وقد انسحبوا من القدس، والحرب قد انتهت، والهدنة أعلنت، وأطماع الصهاينة في إنشاء الوطن القومي في بلده قد باتت واضحة وقريبة، والانتداب البريطاني يجهّز ليُفرَض على فلسطين.

وما هي إلا فترة حتى عُيِّنَ معلماً في المدرسة الرشيدية الحكومية في القدس، غيرَ أنَّ اتجاهه إلى النضال من أجل الاستقلال القومي العربي، والوحدة العربية، ومعاداته للصهيونية؛ قد دفعه مع صديقه المحامي محمد حسن البديري لإصدار جريدة عربية سياسية أدبية، فأصدرا جريدة سورية الجنوبية، أسبوعية، ثمّ نصف أسبوعية. وصدر العدد الأول منها في 1919/9/8، وقد هاجمت الصهيونية هجوماً عنيفاً، وندَّدت بالسياسة البريطانية بخصوص فلسطين، ووعد بلفور، والهجرة اليهودية، والاستيطان، وانتزاع ملكية الأراضي، وتسهيل انتقالها إلى اليهود، وتبنَّت أهداف النادي العربي في الوحدة مع سورية، ومكافحة الصهيونية، وكان شعار النادي "أرضنا لنا"[159]. وقد دفع هذا الأمر السلطات البريطانية إلى تعطيلها في 1920/7/27 بعد سنة من صدورها[160]، وكان النادي العربي في ذروة نشاطه سنة 1920، وعارف العارف من أهم أعضائه البارزين.

وتوترت العلاقات العربية – اليهودية، وكانت هبَّة القدس في نيسان/ أبريل 1920 (أو ما يعرف بانتفاضة موسم النبي موسى)، وحدثت اشتباكات بين العرب واليهود،

أسفرت عن جرحى وقتلى، وعمّت المظاهرات والاضطرابات سائر أنحاء فلسطين. وكان الفلسطينيون قد أنشأوا "الجمعية العربية الفلسطينية"، وفاز عارف العارف بعضويتها الإدارية، وفي لقاء جماهيري حاشد، وفي ساحة باب الخليل، ومن شرفة مُطلَّة على الساحة، كان العارف واحداً ممن ألهب حماس الجماهير الذين تجمعوا للاحتفال بموسم النبي موسى[161]، وألقى كلمةً حرَّض فيها المحتشدين على ضرورة إدخال فلسطين ضمن الوحدة السورية، ومقاومة الهجرة اليهودية، ودعا إلى جمع كلمة الجمعيات الفلسطينية وتوحيد غاياتها[162]. وهتف بالشعار: أيها العرب، هذا ملككم (أي فيصل) فاتحدوا معه.

واندلعت شرارة الاشتباكات التي استمرت أسبوعاً بعد اتهام العرب لليهود بتلوين أحد أعلامهم، وسارعت السلطات البريطانية باتهامه والحاج أمين الحسيني، مفتي القدس، بتدبير المظاهرات وإثارة حوادث العنف الدموية، فألقت القبض عليه يوم 1920/4/4. وبينما كان رجال الأمن يقتادونه للمثول أمام المحكمة العسكرية في القدس، وعلى حين غفلة من العساكر، أطلق ساقيه للريح، وولى هارباً عن طريق هضاب النبي موسى إلى البحر الميت، واجتاز بقارب إلى الكرك، صوب شرق الأردن، واختبأ عند القبائل البدوية. جدَّت السلطات البريطانية في محاولة إلقاء القبض عليه، ومن ثمّ صدر الحكم بحقه وزميله الآخر الهارب الحاج أمين الحسيني بالسجن لمدة عشر سنوات مع الأشغال الشاقة. وقد اختفى ليظهر في دمشق عضواً مشاركاً في المؤتمر السوري، الذي أعلن استقلال سورية ووحدة أراضيها، ومبايعاً للفيصل بن الحسين ملكاً على سورية. وفي 1920/5/31 شارك العارف في اجتماع، عُقد في دمشق، تقرر فيه تأليف الجمعية العربية الفلسطينية واختير أميناً عاماً للجنتها الإدارية، وقد احتجت الجمعية على قرارات مؤتمر سان ريمو San Remo Conference، ورفضت تعيين هربرت صموئيل، اليهودي الصهيوني مندوباً سامياً على فلسطين، وناشدت البابا مناصرة قضية فلسطين، والاحتجاج على السياسة البريطانية في فلسطين[163].

ولما وصل هربرت صموئيل إلى فلسطين رأى أنه لا بدّ من التقرب إلى العرب خداعاً، فأصدر فور وصوله ما سماه "بالعفو العام"، شمل جميع الذين شاركوا في هبَّة نيسان/ أبريل 1920، وإطلاق سراح الموقوفين، وسمح للفارين بالعودة. واستُثْنِيَ من العفو العام، الحاج أمين الحسيني، وعارف العارف، إلا إذا استسلما للبريطانيين، كونهم صدر بحقهم أحكام قضائية، ولم يعد الاثنان إلى وطنهم.

وحدثت تطورات في سورية، أفضت إلى احتلال الجنرال غورو Henri Gouraud مدينة دمشق، ومخافة إلقاء القبض عليه وتسليمه للسلطات البريطانية في فلسطين غادر عارف العارف دمشق، مُيمماً شطر شرقي الأردن، متنقلاً ومختفياً بين مضارب البدو حتى وصل مدينة السلط واختفى فيها، وحين زار هربرت صموئيل مدينة السلط، قدم شيوخها وأعيانها التماساً له، طالبين الصفح عن العارف، فاستجاب هربرت صموئيل، وسمح له بالعودة. كما عفا عن الحاج أمين.

ويبدو أن عارف العارف قد أضناه التنقل والترحال، من هربٍ إلى هرب، ومن ترحال إلى ترحال، ومن تخفٍّ إلى تخفٍّ، ومن معتقل إلى معتقل، وبدا الجميع عنده وكأنهم كلهم سجَّان يمسك بيد سجَّان، وكنظرة واقعية رأى أن أفضل طريق لنيل المطالب، هو التعاون مع حكومة الانتداب في فلسطين، ومحاولة إقناع السلطات البريطانية بعدالة هذه المطالب، ومثله كثيرون من النخبة السياسية آنذاك. فانخرط في الوظائف الإدارية في حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين، واستفاد من مؤهلاته العلمية وخبرته الصحفية والعسكرية والسياسية، فعُيِّن سنة 1920 قائمقام في جنين، وكانت مدينة صغيرة، ثمّ قائمقام في نابلس سنة 1924، وبيسان سنة 1925، ويافا سنة 1925[164].

وفي سنة 1926 استعير العارف أميناً أول لحكومة شرق الأردن، حيث أمضى عامين، ومن ثمّ اعتزل العمل في نيسان/ أبريل 1929 لأسباب ما زالت موضع تحليل دون جزم، فكتابه "عامان في عمّان" ظلّ حبيساً أدراج مكتبته في رام الله، ولم ينشر لا من قِبَله ولا من قِبَل أولاده.

وفي سنة 1929 عُيِّن قائمقام لبئر السبع، ومديراً لشؤون البدو، وأمضى هناك عشر سنوات، انتقل خلالها للعمل كقائمقام في غزة سنة 1935، ثمّ نقل فيما بعد سنة 1943 ليكون قائمقام في رام الله، وبقي في منصبه حتى انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين سنة 1948.

ولا نستطيع الجزم بدوره في الحياة العامة في فلسطين بصورةٍ قاطعة، إلا بعد اطلاعنا على جميع المصادر العربية، فضلاً عن ملفات المحفوظات البريطانية والأرشيفات الصهيونية وغيرها، المتصلة بمواقفه وإجراءاته. وكان له دور في الحياة الاجتماعية للمجتمعات التي تولى السلطة فيها، فقد عمل على ترقيتها، وتصدى لحلِّ قضاياها ومشاكلها بطرقٍ حسنة. أما قضايا الأمن والثورة والثوار فلا نقطع فيها برأي، وحاول

خدمة مجتمعه من خلال العمل الإداري الحكومي السلمي، ولذلك كان ضمن كبار الموظفين الفلسطينيين تحت الإدارة البريطانية، وظلّ يتقاضى الراتب التقاعدي من الخزينة البريطانية حتى أواخر أيام حياته. وفيما عدا توقيعه مع آخرين على مذكرة كبار الموظفين العرب في فلسطين إلى المندوب السامي، بخصوص السياسة البريطانية في البلاد، سنة 1936، لا نجد له أي نشاط غير وظيفته[165]. ويظهر أن الأستاذ العارف حدد مجالات تركيزه في العمل الإداري وفي البحث والكتابة الأكاديمية، وخصوصاً تلك التي تتعلق بأرض فلسطين وشعبها، ليكون بعد ذلك أحد أبرز المؤرخين الفلسطينيين المعاصرين.

إثر النكبة سنة 1948، ذهب إلى عمّان، فاستقبله الملك عبد الله بحفاوةٍ بالغة، وأنعم عليه بلقب الباشوية[166]. وفي العهد الأردني أيضاً، كان نائب الحاكم العسكري العام في منطقة رام الله سنة 1949 لمدة سنة. ثمّ انتدب رئيساً لبلدية القدس سنة 1950، وفاز برئاسة البلدية عن طريق الانتخابات سنة 1951، ثمّ عزل بمرسوم في 1951/11/4 لخلافٍ مع رئيس الوزراء الأردني، توفيق أبو الهدى، بسبب خطاب ألقاه ترحيباً بالملك طلال أثناء زيارته للقدس في 1951/10/30، فُسِّر عكس ما قصده العارف.

ثمّ أعيد انتخابه سنة 1955 لرئاسة بلدية القدس، وكان في الوقت نفسه رئيساً للجنة التنفيذية لرابطة المناضل الجريح، وعضواً في المجلس الاستشاري لدائرة السياحة، واختير في أواخر سنة 1955 وزيراً للأشغال في وزارة لم تعمِّر إلا أياماً ثلاثة، بسبب أحداث حلف بغداد والمظاهرات الصاخبة التي عمَّت جميع مناطق الأردن، ثمّ عُيِّنَ مديراً للمتحف الفلسطيني للآثار سنة 1963 حتى احتلال الضفة الغربية في 1967.

كان هول ما سمي بالنكسة مذهلاً على نفسية وشخصية عارف العارف، فتخلى عن ولاءاته السابقة، واكتفى بعضوية الهيئة الإسلامية في القدس، ومن مهامها الحفاظ على الأوقاف في القدس والضفة الغربية. وكان حاداً في مواقفه اتجاه الأحداث التي عصفت بالثورة الفلسطينية في الأردن 1970-1973. ويظهر ذلك بوضوح في مذكراته: عمّان تحترق[167]، وكان مع أبناء قومه في صراعهم مع الإسرائيليين، يشجب ويُنَدِّدُ ويستقبل رجال الصحافة الأجنبية، ويعطي الأحاديث الصحفية المنددة بالسياسة الإسرائيلية، ويدعم مؤسسات المجتمع المدني في وطنه، وخاصة جمعية إنعاش الأسرة في رام الله.

لقد بلغ العارف من العمر عِتِيّاً، وتاقت نفسه لزيارة منزله في القدس الغربية، الكائن في حي البقعة، وحملت رجلاه جسمه الضعيف بتؤدة إلى ربوع مدينته، ووطئت قدماه ثرى بيته، ورأته مستوطنة يهودية تحتل وتأخذ مكانه في بيته، وعرفت أنه صاحب البيت الذي تحتله والذي بناه من ماله فوق أرضه، فطردته شر طردة، وصرخت في وجهه وكشرت، فعاد كسير الخاطر، جريح الفؤاد، والدمع يترقرق بين جفونه، ملكت عليه المأساة كل كيانه، لا تفارقه الليل والنهار، حتى نقل إلى مستشفى في رام الله، قريب من بيته في البيرة، فقد أصيب بجلطةٍ دماغية بتاريخ 1973/7/20، وفارق الحياة إلى الرفيق الأعلى، وقد رثاه الأصدقاء، وتحدثت بفضائله الصحافة والكُتّاب، وستظل ذكراه تدور مع الأيام.

مصنفات عارف العارف:

وضع عارف العارف العديد من المؤلفات في التاريخ والاجتماع والسياسة كان محورها وطنه فلسطين بصورةٍ عامة، ومدينته الخالدة بيت المقدس، وقضايا أمته خاصة، وما تعانيه بلده من عسف بريطاني وأطماع يهودية صهيونية. إضافة إلى الطوائف الفلسطينية الأخرى من أهالي وطنه، النصارى واليهود. ولقد أولى القبائل البدوية في جنوب فلسطين عناية خاصة، ومع أنه كان يحاول استقصاء المصادر والمراجع المتصلة بالأبحاث التي يتصدى لها، فإن الروايات الشفوية كانت واحدةً من أهم المصادر التي اعتمد عليها، فهو يعدّ بحقّ أحد رواد كتابة التاريخ الشفوي، مع ما يعتور التاريخ الشفوي من مظانّ وجرح في بعض الأحيان، لأن كل مقابلة أو لقاء مع الراوي تتطلب إعداداً دقيقاً، ومراعاة للمعايير النقدية إزاءها، وخاصة في مؤلفاته التي سجّل فيها أحداث نكبة سنة 1368هـ/1967م وحتى سنة 1392هـ/1971م.

لقد كان للوظائف الرسمية الإدارية التي تولاَّها، سواء في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين أم في العهد الأردني، والنفوذ السلطوي الذي حظي به إثرهما في اتصاله بالرواة في مناطق ولايته، والذي مكّنه من مشاهدة المواقع الجغرافية التي يكتب تاريخها، وتقصى الأحداث التي وقعت بها وحتى صناع الأحداث؛ دور جعل عارف العارف يبدو وكأنه شاهد عيان في البعض، ومستقصٍ ومدقق وناظر وباحث في البعض الآخر. واللافت للنظر، إفراد العارف المصنفات العديدة لمدينته الخالدة بيت المقدس بالدرجة الأولى، ثمّ منطقة جنوب فلسطين، بئر السبع والنقب وغزة وعسقلان. ولا غرو في ذلك، فقد قضى في المنطقة عشر سنوات (1929-1939)، حاكماً إدارياً (قائمقام) لها، وتنقل بين

بقاعها وأنقابها وتلالها، وعرف قبائلها وشيوخها وما ملكوه من أراضٍ، ومن ثمّ الأطماع الصهيونية في اغتصاب أراضيها، علاوةً على مصنفاته الأخرى التي سنعرض لها.

مؤلفات عارف العارف حول القدس وحرمها الشريف وقبة الصخرة المشرفة:

1. **المفصل في تاريخ القدس:** طبع في القدس، مطبعة المعارف، شوال 1380هـ الموافق نيسان/ أبريل 1961م، ويقع الجزء الأول في 569 صفحة. وجاء الكتاب في ثمانية أبواب، حوت القدس في العهود الغابرة، وقدم معلومات تاريخية تثبت عروبة المدينة المقدسة قبل وصول الإسرائيليين، وركّز على الطابع العربي للمدينة عبر العصور منذ الفتح الإسلامي والقدس وعمر بن الخطاب، ثمّ الأطماع الغربية الأوروبية من خلال الغزو الفرنجي للأرض المقدسة (الحروب الصليبية)، وصلاح الدين وتحريرها واستراتيجيته، والقدس وأحفاد صلاح الدين، والقدس في عهد المماليك، والمدارس في القدس القديمة ثمّ في عهد الأتراك العثمانيين ومعالم الحكم التركي فيها، والاحتلال البريطاني للمدينة، والقدس كما رآها في مطلع سنة 1947. وكان الفصل الثامن والأخير للأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية واليهودية وقد اعتمد فيه المؤلف على مصادر عربية وتركية وإنجليزية وألمانية وفرنسية، فقد استقصى وبحث في 97 مصدراً عربياً و11 مصدراً تركياً و65 مصدراً إنجليزياً و7 مصادر ألمانية و10 مصادر فرنسية. وقد أعادت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، طبعه سنة 2005.

2. **الموجز في تاريخ القدس:** طبع في القاهرة، دار المعارف، سنة 1951، وقد ترجم إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وهو تلخيص وإبراز لتاريخ المدينة.

3. **تاريخ الحرم القدسي:** طبع في القدس، مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية، سنة 1366هـ/1947م، ويقع الكتاب في 123 صفحة. وقد أهداه إلى عبد الملك بن مروان، باني الحرم وموطِّد كيان العرب والإسلام في هذه البلاد (فلسطين). وتناول فيه قيمة المسجد الأقصى في نظر العرب والمسلمين، ثمّ مسجد الصخرة وبناءه، وأوصاف المؤرخين له عبر العصور، وفناء الصخرة والقباب والمساطب والمآذن والأروقة والأبواب والمياه والحرم بوجهٍ عام، وضمنه أكثر من أربعين صورة، وأفرد مساحةً واسعةً لإعمار الصخرة والحرم عبر العصور، وقد ترجم إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

4. **تاريخ قبة الصخرة والمسجد الأقصى:** طبع في القدس، مطبعة دار الأيتام، سنة 1958. وقد أضاف إليه ما حصَّله من مادة علمية إلى كتابه السابق، وخاصةً الفن والمعمار، تحفة فنية رائعة، وبراعة هندسية متكاملة.

5. **المسيحية في القدس:** طبع في القدس، مطبعة دير الروم الأرثوذكس، سنة 1951. وقد تتبع تاريخ المسيحية في المدينة، والأماكن الدينية المسيحية، والتعايش بين المسلمين والمسيحيين فيها، وما كان يحدث بين الطوائف المسيحية حول الأولوية في الأماكن الدينية المسيحية، ودور المسلمين في تحقيق السلم الاجتماعي بينها. وترجم إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

أما جنوب فلسطين، بئر السبع والنقب وغزة وعسقلان، فقد صنّف فيها المؤلفات التالية:

1. **القضاء بين البدو:** طبع في القدس، مطبعة بيت المقدس، سنة 1351هـ/1933م. وكُتِبَ على صفحة عنوانه: تأليف عارف العارف، قائمقام بئر السبع. ويقع في 265 صفحة. وقد ترجم إلى العبرية والإنجليزية والألمانية.

2. **تاريخ بئر السبع وقبائلها:** طبع في القدس، مطبعة بيت المقدس، سنة 1934.

3. **تاريخ غزة:** طبع في القدس، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، سنة 1943. وقد تُرجِمَ إلى الألمانية والعبرية والإنجليزية.

4. **الموجز في تاريخ عسقلان:** طبع في القدس، مطبعة بيت المقدس، سنة 1943. وقد تُرجِمَ إلى الألمانية والعبرية والإنجليزية.

وجاء كتابه **القضاء بين البدو** في عشرة أبواب، عرض فيها؛ لعرب بئر السبع وأصولهم العربية الضاربة في بطون وأعماق التاريخ. وعرض أيضاً للقضاء بينهم ومحاكم العشائر عندهم، لا سيّما وأنه بحكم مركزه الإداري يرأس تلك المجالس. وتحدث عن مراتب قضاة البدو ووسائلهم في دفن الحصى وقرطها واليمين وحوادث القتل وإجراءاتها للقصاص أو الصلح (العطوة، والجيرة، والوجه، والبشعة، والدية)، والسرقات (العداية والوساقة، والحسنى). وتناول المرأة البدوية (حقوقها وواجباتها، والوراثة، والزواج، والطلاق، وتعدد الزوجات، والزنا) وكتب عن الحيوان (الخيل والإبل والوسم، والمرعى، والمياه وحقّ الشرب). وتناول الرحيل (الظعن والرحيل والسلام

وحقّ الضيف، وحقّ الطنيب، والقهوة والغزو). وعرض أيضاً للتجارة والاقتصاد (المحل أي الجدب، والخصاب، وأحوال البدو الاقتصادية، والبيع والشراء والأراضي، والطب بين البدو، ومعتقدات البدو)، وضمن الكتاب عشرات الصور.

ومع أن الكتاب يسجل ما عرفه من المصادر وما رواه له المشايخ والرواة، إلا أن الكتاب أُخرج عن سياقه وغاياته عندما استُغِل من قبل الصهاينة والمؤسسات الأوروبية الداعمة للصهاينة، وتُرجِمَ إلى عدة لغات، وجرى توزيعه بصورة واسعة لإظهار مدى التخلُّف عند أهالي فلسطين، وبعدهم عن التطور والتقدم الحضاري والمدني في أوروبا وأمريكا. انظر على سبيل المثال: ما تُرجم منه في كتاب Bedouin: Love, Law and Legend سنة 1944 (وتُرجمت فصولٌ منه إلى العبرية).

ومن الجدير بالذكر أن الحركة الصهيونية، ما كانت تترجم وتنشر في ترجماتها إلا ما اتصل بها من تاريخ اليهود دون غيره، والتغاضي عن كل ما عداه وتذيعه من باب الدعاية المكذوبة من أساسها.

أما كتابه، **بئر السبع وقبائلها**، فقد انتهى منه إلى أن العرق العربي الأصلي شكَّل 70% من السكان المسلمين لفلسطين وشرق الأردن[168]. ويذكر في مقدمة كتابه (**أوراق**)، المجموعة الرابعة، القسم الثاني: "عندما انتدبتني حكومة فلسطين في عهد الانتداب قائمقام للمقام ومديراً لشؤون البدو في بئر السبع 1929-1939، صرفت جُلَّ اهتمامي للتعرُّف على البدو المقيمين في ذلك القطاع، وأخلاقهم وطبائعهم، والأساليب التي يتبعونها في حلِّ الخلافات بين أفرادهم أو بينهم والقبائل الأخرى، وعادات وقيم محاكم العشائر عندهم"[169].

وجاء كتابه في ستة أبواب، حيث درس بئر السبع وقبائلها في الكتب والأسفار، وفي الطلول والآثار، وفي الأحاديث والأخبار، والحروب الأهلية، وديرة السبع على ممر الأحقاب، وديرة السبع في يومنا هذا.

وحين أحصاهم ولأول مرة في التاريخ، كان عددهم 150 ألفاً وينتمون إلى سبع قبائل كبرى هي: الترابين والتياها والعزازمة والجبارات والحناجرة والسعيديين والأحيوات، وبلغت عشائرهم 83 عشيرة. وهو بخلاف ما كانت تُذيعُه المنظمات الأوروبية واليهودية والصهيونية.

وفي ملتقى أبناء البادية علَّق جهاد أبو غرابة، عمّا أغفله العارف عن عشيرته النصيرات في كتابه المشار إليه[170].

وكتابه **تاريخ غزة** أرَّخ فيه لتاريخ المدينة منذ أقدم العصور حتى زمانه، ومدنها وقراها وجغرافيتها وطبوغرافيتها، وما تعانيه من أطماع الصهاينة وظلم الإنجليز. وكذا كتابه **الموجز في تاريخ عسقلان**، والذي بحث فيه تاريخ المدينة من 3750ق.م إلى 1948 للميلاد، وفيه يثبت عروبة المدينة وعروبة سكانها.

وقد وضع حلمي أبو شعبان كتاباً بعنوان: تاريخ غزة، نقد وتحليل، طبع في القدس، مطبعة بيت المقدس، 1943، تجاهلته الحركة الصهيونية تماماً، ولم تُشِر إليه بوجهٍ من الوجوه.

ومن كتب عارف العارف الأخرى:

1. النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود: طبع في صيدا، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، سنة 1956-1965، في ستة مجلدات. وفي مقدمة كتابه، يذكر العارف أن سبب تسمية مصنفه بهذا الاسم، لأن العرب عامةً والفلسطينيين خاصة نكبوا خلال هذه الحقبة من الزمن بما لم ينكبوا بمثله منذ قرون، ومن واجبه تدوين الحوادث كما حدثت قبل أن تنسى. ويضيف أنه سجّلها بأمانة ونزاهة، لم يتملق أحداً كان من الناس، ملكاً كان أم زعيماً، حاكماً أم محكوماً، غنياً أم فقيراً ولا شايع فئةً من الناس[171].

وينبّه العارف إلى أنه تحدّث بإسهاب عن حوادث القدس وما جاورها من البقاع، بينما تحدث باقتضاب عن المدن والبقاع الأخرى، وذلك لأنه طوال الفترة كان بالقدس وجوانبها، وحضر أكثر المعارك التي جرت وإن لم يشارك بنفسه فيها، فله قدرةٌ على التمحيص لأنه قريبٌ من الميدان، وعلى صلة بالقائمين على الأمر[172].

وجاءت مجلدات كتاب النكبة كما يلي:

- **المجلد الأول:** ما جرى في فلسطين من اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم 1948/11/29 إلى اليوم الذي انتهى فيه الانتداب البريطاني، وانسحاب الجيش البريطاني من البلاد، 386 صفحة.

- **المجلد الثاني:** منذ دخول الجيوش العربية في 1948/5/15 إلى أول يوم بدأت فيه الهدنة في 1948/6/11، 204 صفحة.
- **المجلد الثالث:** أخبار المعارك التي جرت بعد الهدنة الأولى، وما جرى في غُضونِها حتى استئناف القتال في 1948/7/9، وما قبل بداية الهدنة الثانية، 285 صفحة.
- **المجلد الرابع:** معارك النقب الأخيرة، مؤتمر أريحا، اتفاقيات الهدنة في رودس Rhodos والخسائر بالأرواح والأملاك، 198 صفحة.
- **المجلد الخامس:** نصّ قرار التقسيم، مؤتمر بلودان ونصّ الهدنات بين العرب و"إسرائيل"، وقضية اللاجئين، 175 صفحة.
- **المجلد السادس:** سجل الخلود لشهداء النكبة من الفلسطينيين ومن العرب والأجانب الذين ضحُّوا بأرواحهم لفلسطين وشعبها 1947-1952، 303 صفحة.
- **المجلد السابع:** صور من النكبة، التقطها واختارها العارف.
- **المجلد الثامن:** طريق العودة، كان يطبع سنة 1965 ولا ندري مصيره.

في المجلد الأول: تناول المؤرخ إحالة بريطانيا، الدولة المنتدبة، قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة في 1947/4/2، وما جرى في دهاليز وأروقة الأمم المتحدة، وتكالب القوى الكبرى حتى صدور قرار التقسيم، وما تلاه من تفجُّر العنف في كافة أنحاء فلسطين. ويفصّل في المعارك التي أعقبت مؤامرة بريطانيا في الانسحاب من فلسطين، والتواطؤ البريطاني في نصرة العصابات الصهيونية، وكذا التخاذل والتظاهر العربي في نصرة شعب فلسطين في المحافل الدولية، والمجازر الصهيونية ضدّ العرب، وخاصة مذبحة دير ياسين وغيرها. ويقف المجلد عند 1948/5/14.

في المجلد الثاني: سجَّل العارف وقائع العدوان الصهيوني على مدن وبلدات وقرى فلسطين غداة إعلان دولة الكيان الصهيوني في 1948/5/15، ودخول الجيوش العربية وفرق المجاهدين والمتطوعين، ويستقصي المعارك ونتائجها، وسقوط المدن والبلدات والقرى العربية بيد الصهاينة بمساعدة بريطانيا والغرب الأوروبي وأمريكا، ويركز على معارك القدس. ويلقي أضواءً على وصول فرقة التدمير إلى القدس القديمة في 1948/5/23، واشتداد المعارك، وقبول اليهود وقف القتال والعرب يرفضون، والهجوم على منازل اليهود في البلدة القديمة ومن ثمّ اجتياحها، وسقوط حارة اليهود ومحاصرة

اليهود، وقبولهم الاستسلام، واقتراب المشروع الصهيوني في إقامة الدولة والوطن القومي ليهود الشتات من نهايته، ولكن تواطؤ بعض الزعامات العربية قلبت النتائج، وأدخلت المؤن والأسلحة والعتاد إلى اليهود المحاصرين بعد قبولهم هدنة مؤقتة لساعات، فتحول مصير المعركة لصالح الصهاينة، واحتلوا ما سمي آنذاك القدس الجديدة.

في المجلد الثالث: يؤرِّخ عارف العارف للمعارك بين اليهود من جهة والعرب من أهالي فلسطين والمتطوعين والجيوش العربية من جهة أخرى، ويتتبع مواقف الملوك والرؤساء العرب إزاء تفجُّر الأعمال الحربية، واشتداد المعارك في كل أنحاء فلسطين، والاجتماعات والمؤتمرات العربية، والتدخلات والمؤامرات الدولية حتى دعوة مجلس الأمن إلى إقامة هدنة دائمة في فلسطين، بتاريخ 1948/11/16.

وفي المجلد الرابع: يتابع عارف العارف بسط فصول المؤامرة على فلسطين، من خلال اتفاقيات الهدنة مع الدول التي دخلت جيوشها لإنقاذ فلسطين، وخرجت خائبة مدحورة، ويبين كيف خنع الزعماء العرب، وحتى لجان الهدنة العسكرية العربية للعصابات الصهيونية، وتنازلت عن بلدات وقرى كانت تحت السيطرة العربية، كالمثلث والنقب. ويتحدث عن اختراقات العصابات الصهيونية للاتفاقيات، واحتلال العديد من المناطق بعد توقيع اتفاقيات الهدنة، وإلحاق ما تبقى من فلسطين بالمملكة الأردنية الهاشمية بعد مبايعة الملك عبد الله في 1949/1/25 ملكاً على الدولة المتحدة الجديدة، شرقي الأردن وما سُمِّيَ بالضفة الغربية، وتقف الأحداث عند مذبحة قبية في 1953/10/14.

أما المجلد الخامس: فقد حوى وثائق قرار التقسيم ومحاضر ونصوص قرارات مؤتمرات الزعماء العرب واتفاقيات الهدنة، وركَّز على القرارات المتصلة بالقدس ومصيرها، ثمّ ذيَّل له بـ 14 ملحقاً، كان الملحق 12 خاصاً بالملك عبد الله، والملحق 13 خاصاً بجلوب باشا Globb (أبو حنيك)، والملحق 14 لما سُمي قضية اللاجئين.

وفي المجلد السادس: وقصره على شهداء النكبة، وسمّاه سجل الخلود من الفلسطينيين والعرب والأجانب الذين ضحُّوا بأرواحهم لفلسطين وشعبها 1947-1952، وأورد أسماءهم والمعارك والأماكن التي استشهدوا فيها، وكانت حصيلة ما سجَّله 16,534 شهيداً، توزيعهم كما يلي:

جدول 1/2: جنسية الشهداء الذين ذكرهم عارف العارف في كتاب النكبة

الجنسية	عدد الشهداء
فلسطينيون	13,000
مصريون	1,161
أردنيون	562
سوريون	511
عراقيون	399
سعوديون	173
لبنانيون	161
ليبيون وتونسيون وجزائريون ومغاربة	55
متطوعون في جيش الإنقاذ، وهم من أكثر من بلد.	512
المجموع	**16,534**

وفي المجلد السابع: صور التقطها أو اختارها مما كان ينشر أو حصل عليها من هواة ومحترفي التصوير، وهي ناطقة بعمق المأساة.

وفي المجلد الثامن: طريق العودة، ما زال تائهاً، ولم يعرف مصيره، يبحث عن صلاح الدين ليعبر الطريق مجاهداً محرِّراً، وإلى الله المشتكى، نعمَ المولى ونعمَ النصير.

2. أوراق عارف العارف: ست مجموعات، نشرت في بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، الدار العربية للموسوعات، 1973.

المجموعة الأولى:

- سجل الخلود، أسماء شهداء حرب فلسطين سنة 1967، 70 صفحة.
- الفلسطينيون في سجون إسرائيل، 1967-1972، 168 صفحة.

المجموعة الثانية:

- المعذَّبون في السجون الإسرائيلية من أبناء فلسطين 1967-1972، 372 صفحة.
- الفلسطينيون المبعدون عن بلادهم، 1967-1971، 194 صفحة.

المجموعة الثالثة:

- الدور الفلسطينية التي هدمها الإسرائيليون، 1967-1972، 194 صفحة.
- غزة نافذة على الجحيم، 364 صفحة.

المجموعة الرابعة:

- أحداث رفح ومأساة البدو من أهلها، 48 صفحة.
- مأساة البدو في النقب وقطاع بئر السبع، 251 صفحة.

المجموعة الخامسة:

- مآخذي على الحكم الإسرائيلي في القدس، 165 صفحة.
- مذكراتي عن نشاط المقاومة الفلسطينية 1970/5/18-1973/12/27م، 207 صفحة.

المجموعة السادسة:

- مذكراتي عن المساعي السلمية، 155 صفحة.
- عمّان تحترق، مذكراتي للعام 1971م، 194 صفحة.

ويذكر عارف العارف أن عدد الشهداء الذين لاقوا وجه ربهم في حرب حزيران/يونيو 1967، وما أعقبها من أحداث خلال السنوات المنصرمة 14,373 شهيداً[173].

وفي القسم الثاني من المجموعة الأولى يقول:

> ألهمني ربي أن أسجل في مذكراتي، هذه المذكرات التي لم انقطع عن تدوينها يوماً واحداً منذ نشب القتال بين العرب واليهود في حرب حزيران 1967، أسماء الفدائيين من أبناء فلسطين الذين اعتقلوا سواء إثر اشتباكهم مع القوات الإسرائيلية أو أثناء قيامهم بحركات مقاومة لسلطات الاحتلال وصدرت ضدهم أحكام مختلفة من المحاكم العسكرية الإسرائيلية[174].

وقد تمكَّن من إحصاء 1,678، منهم 1,598 فتية ذكور و80 فتاة ومنهم:

- 1,198 سجيناً صدرت ضدهم أحكام دون عشر سنين.
- 295 سجيناً صدرت ضدهم أحكام أكثر من عشر سنين.
- 185 السجن مدى الحياة؛ 181 شاباً و4 فتيات هُنَّ: فاطمة برناوي، رسمية عودة، عائشة يوسف عودة، وعفيفة فراج بنورة.

ويؤكِّد عارف العارف أنه لم يُسجِّل أسماء جميع المعتقلين الموجودين في سجون "إسرائيل"، وإنما ما وسعه الجهد وهو شيخ في الثمانين من عمره، ويناشد الكافة إبلاغه عن كل من لم يسجل اسمه في قوائم المعتقلين[175].

أما في أوراق المجموعة الثانية فجمع من الصحافة العبرية والإذاعة والتلفزيون الإسرائيلي، ومن وقائع المحاكمات والشهادات، والتقارير الصادرة عن هيئات حقوق الإنسان، ومن الذين أفرج عنهم بصفقات التبادل بين المنظمات الفدائية و"إسرائيل" لأكثر من 350 حالة لأشخاص عذّبوا، ووصف بكل دقة أساليب العدو الإسرائيلي في التعذيب وألوانه، مما يستدعي دراسة جادة من قبل الباحثين[176].

وفي القسم الثاني من المجموعة أورد أسماء 1,447 مبعداً من الأرض المحتلة سنة 1967[177].

وفي المجوعة الثالثة، القسم الأول، ذكر الدور التي هدمها الإسرائيليون. ويذكر في المقدمة أنَّه كان يزور مواقع تلك الدور ويصطحب معه مصوراً، ففي القدس على سبيل المثال هدمت "إسرائيل" 460 منزلاً حتى 1971/8/31، إضافةً إلى 1,475 منزلاً ومتجراً ومسجداً ومدرسةً هدموها في حارة الشرف[178]، وكثيرٌ منها من أملاك الأوقاف. ويثبت الأوامر الإسرائيلية بالمصادرات والاستملاك، أو نسف البيوت. ويتابع في نابلس وقراها، وغزة وتوابعها، وجنين وقلقيلية والخليل وتوابعها، وحتى قرى البدو.

أما القسم الثاني من المجموعة فقد عرض للهمجية الإسرائيلية في تعذيب وتشريد وتقتيل وحرق وهدم واعتقال ونفي البشر والحجر في القطاع وتوابعه[179]، وكانت مذكراته يومية ابتداءً من 1967/6/5 وحتى 1971/12/29، وألحقها بأسماء المحكوم عليهم في غزة وقطاعها، وعدد الدور التي هدمها الإسرائيليون أو نسفوها وأسماء أصحابها.

وفي المجموعة الرابعة بقسميها دوَّنَ ووثَّقَ مأساة رفح والبدو من أهلها، ومأساة البدو في النقب وقطاع بئر السبع، وذلك باستيلاء سلطات الاحتلال الإسرائيلي على أراضيهم وانتزاعها منهم ظُلماً وعدواناً، وتُقدَّر مساحة الأرض بأكثر من 40 ألف دونم، وشرّدت أكثر من 15 ألفاً[180].

وفي القسم الثاني، يؤرِّخ للنقب وبئر السبع ثمّ يُرَكِّز على شهداء المنطقة، وإجراءات اليهود من تدمير المنازل وأسر الشباب والشابات، والمعارك التي وقعت والحروب فيها، ومساحة الأراضي التي سيطر عليها اليهود وتبلغ 20,513,534 دونماً[181]. ويعرِّج على حادثة التواطؤ وتسليم منطقة الرشراش على خليج العقبة، ويواصل تسجيل وتوثيق إجراءات الصهاينة لتهويد المنطقة ومصادرة أراضيها[182].

وفي المجموعة الخامسة، القسم الأول، تناول الأحداث التي وقعت في القدس سنة 1971 وسنة 1972، ومذكراته عن الفترة وما شاهده أو نقله إليه الثقات، والمصادرات للأراضي وانتزاع الملكيات من أصحابها في المدينة.

والقسم الثاني من المجموعة، كانت مذكراته فيها عن نشاط المقاومة الفلسطينية من 1970/5/18-1972/12/27 ويُمهِّد: "ظلموهم فنعتوهم بالمخرِّبين وما هم بمُخرِّبين بل هم فدائيون...". إلى أن يقول "بل هم طُلاَّبُ حرية، ودعاة رحمة، وناشدو حق مغتصب"[183]. ويُسجِّل ما وسعه الجهد عن العمليات العسكرية (الفدائية)، ضدّ سلطات الاحتلال، والمستوطنين والشهداء والأسرى من الفدائيين، ونماذج من محاكمات الأسرى.

أما في المجموعة السادسة، فتناول في مذكراته المساعي السلمية. ويبدأ بمقترحات وليام روجرز William Rogers، وزير الخارجية الأمريكية، والموقف الشعبي والمنظمات الفدائية منها، وغاب عنها أحداث أيلول الأسود سنة 1970، ثمّ الاقتراحات التي توالت حتى 1971/12/31[184].

والقسم الثاني من المجموعة: عمّان تحترق، هي مذكراته لسنة 1971، وفيه يظهر مدى التغير الذي حدث على مواقفه من الأردن[185]، وتقف مذكراته عند يوم الجمعة 1971/12/31[186].

كان من طبع عارف العارف أن يُدوِّن مذكراته ويومياته، وأن يرصد ويُسجِّل الأحداث التي يعايشها يومياً، مُنَقِّبَاً، ومُفتِّشاً، وسائلاً، وباحثاً عن التفاصيل بلا كَلَل، ولقد واظَب على عمله هذا زُهاء خمسين عاماً.

أما مؤلفاته الأخرى، والتي لم نطَّلع عليها، وإنما أوردتها الدراسات وبعض المراجع فمنها:

- **رؤياي**: طبع في القدس، مطبعة الآباء الفرنسيين، سنة 1943. وقد ضمنه أحلام ذهبية مشرقة، فتنبأ بقيام الجامعة العربية.
- **رحلة في الظلام بحثاً عن النور:** طبع في بيروت، دار الفارابي.
- **مرقص العميان:** طبع في القاهرة، دار الفكر العربي، سنة 1947. وقد تُرجِمَ إلى التركية الكتاب المعروف Die Welträtsel لمؤلفه الألماني البروفسور إرنست هيجل وسماه "أسرار الكون"[187].

ومن الكتب المخطوطة التي لم تطبع:

- **كنت أسيراً**.
- **ثلاثة أعوام في عمّان**.
- **الكويت، ماضيها وحاضرها**.
- **موجز سيرته بالعربية والإنجليزية**.

وعلى أيِّ حال، ومهما قيل عن عارف العارف، فإنَّ تُراثَهُ سيظلُّ حاضراً في التاريخ الفلسطيني.

هوامش الفصل الأول

[1] محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت) (بالتصوير)، ج 2، ص 157-158؛ وأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ** (حيدر أباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1974)، ج 7، ص 81؛ وعبد الحي بن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب** (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت)، ج 7، ص 109؛ وأبو اليُمن مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** (عمّان: مكتبة المحتسب، 1973)، ج 2، ص 110-111.

[2] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 110؛ وقدري طوقان، **تراث العرب العلمي في الفلك والرياضيات** (القاهرة: دار القلم، 1963)، ص 493؛ وعبد الجليل حسن عبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي ودورها في الحركة الفكرية** (عمّان: مكتبة الأقصى، 1981)، ج 1، ص 235-239.

[3] محمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 2، ص 157؛ وابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج 7، ص 81؛ ومجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 110؛ وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج 7، ص 109.

[4] محمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 6، ص 85-90؛ وابن الهائم المقدسي، **المعونة في علم الحساب الهوائي**، تحقيق خضير عباس المنشداوي (بغداد: جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي، 1982)، ج 1، ص 1؛ ومحمد الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع**، ج 1، ص 506-507؛ وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج 7، ص 51-52.

[5] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964)، ج 1، ص 427؛ وابن الهائم المقدسي، **المعونة في علم الحساب الهوائي**، ج 1، ص 11؛ وأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة** (حيدر أباد الدكن: 1929-1931)، ج 1، ص 60.

[6] ابن الهائم المقدسي، عمل المناسخات بالجدول، مخطوط محفوظ في مكتبة راغب باشا السليمانية، إسطنبول، رقم 5/569 الورقة 1؛ وابن الهائم المقدسي، **المعونة في علم الحساب الهوائي**، ج 1، ص 11-12.

[7] ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج 2، ص 275؛ ومحمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 4، ص 171؛ ومحمد الشوكاني، **البدر الطالع**، ج 1، ص 354.

[8] محمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 2، ص 157.

[9] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 110؛ وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج 7، ص 109؛ ومحمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 2، ص 157-158، وج 11، ص 63؛ وابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج 3، ص 443.

[10] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 112.

[11] **المرجع نفسه**.

[12] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 43؛ وكامل جميل العسلي، **أجدادنا في ثرى بيت المقدس** (عمّان: مؤسسة آل البيت، 1981)، ص 38.

[13] محمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 2، ص 158؛ ومجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 112.

[14] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 112.

[15] **المرجع نفسه**، ص 133.

[16] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، تحقيق فيليب حتي (نيويورك: المطبعة السورية-الأمريكية، 1927)، ص 98-99.

[17] ابن الهائم المقدسي، **المعونة في علم الحساب الهوائي**، ج 1، ص 19؛ وجلال الدين السيوطي، **نظم العقيان**، ص 135؛ ومجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 188.

[18] جلال الدين السيوطي، **نظم العقيان**، ص 92؛ ومحمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 2، ص 284؛ ومجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 181.

[19] جلال الدين السيوطي، **نظم العقيان**، ص 29-30؛ ومحمد بن عبد الرحمن السخاوي، **القبر المسبوك في ذيل السلوك** (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت)، ص 272-275.

[20] محمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 2، ص 249-250؛ وجلال الدين السيوطي، **نظم العقيان**، ص 90-92.

[21] محمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 7، ص 5؛ وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج 7، ص 245.

[22] ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج 2، ص 157-158؛ ومحمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 2، ص 36-40؛ وجلال الدين السيوطي، **نظم العقيان**، ص 45-53؛ ومحمد الشوكاني، **البدر الطالع**، ج 1، ص 87-92.

[23] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 112.

[24] **المرجع نفسه**، ص 188.

[25] محمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 2، ص 158؛ ومحمد الشوكاني، **البدر الطالع**، ج 1، ص 117؛ وابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج 7، ص 81.

[26] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 112؛ وكامل العسلي، **أجدادنا في ثرى بيت المقدس**، ص 166.

[27] ابن الهائم المقدسي، **الحاوي في الحساب**، تحقيق رشيد عبد الرزاق الصالحي وخضير عباس المنشداوي (بغداد: جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي، 1988)، ص 48، 55، 57، 60.

[28] جمشيد غيّاث الدين الكاشي، **مفتاح الحساب** (القاهرة: 1967)، ص 54.

[29] قدري طوقان، **تراث العرب العلمي**، ص 57؛ وابن الهائم المقدسي، **الحاوي في الحساب**، ص 60؛ ومحمد عيسى صالحية، **بحوث ومقالات في الحضارة العربية الإسلامية** (الكويت: 1988)، ص 282-283.

[30] محمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 8، ص 2-25؛ ومحمد جميل الشطي، **مختصر طبقات الحنابلة** (دمشق: مطبعة الترقي، 1339هـ/1920م)، ص 73؛ ومحمد بن عبد الله بن علي العامري، السحب الوابلة على ضريح الحنابلة، مخطوط في الخزانة التيمورية بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، رقم 1445 تاريخ تيمور، ص 141؛ ومجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 189.

[31] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 189-190؛ وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج 7، ص 306.

[32] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 237؛ ومحمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 5، ص 235.

[33] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 230؛ وابن تغري بردي يوسف، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، تحقيق محمد محمد أمين (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984)، ج 2، ص 422-433؛ ومحمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 10، ص 58.

[34] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 377-382؛ ومحمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 9، ص 64؛ وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج 8، ص 29.

[35] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 195؛ وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج 7، ص 323.

[36] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 116-118؛ وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج 8، ص 10.

[37] محمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 1، ص 56؛ ومجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 206.

[38] محمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 2، ص 52؛ ومجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 203.

[39] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 191-192.

[40] **المرجع نفسه**، ص 191.

[41] **المرجع نفسه**، ص 251.

[42] **المرجع نفسه**، ص 302-346؛ وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج 7، ص 366.

[43] محمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 9، ص 117-124.
[44] **المرجع نفسه**، ج 8، ص 2-25؛ وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج 8، ص 15-16.
[45] محمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 5، ص 140.
[46] **المرجع نفسه**، ج 7، ص 284-286.
[47] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 300، 305.
[48] **المرجع نفسه**، ص 382.
[49] محمد عيسى صالحية، "التاريخ والمؤخرون في فلسطين،" **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، الدراسات الحضارية، ج 3، ص 333-334.
[50] عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس** (القدس: 1952)، ص 509؛ وكامل العسلي، **أجدادنا في ثرى بيت المقدس**، ص 139.
[51] كامل العسلي، **أجدادنا في ثرى بيت المقدس**، ص 140.
[52] يوسف أيوب حداد، **خليل السكاكيني: حياته، مواقفه، آثاره** (دمشق: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، 1981)؛ وخليل السكاكيني، **كذا أنا يا دنيا** (القدس: المطبعة التجارية، 1955)، ص 163.
[53] يوسف حداد، **خليل السكاكيني: حياته، مواقفه، آثاره**، ص 40.
[54] يعقوب العودات، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين** (عمّان: 1976)، ص 274؛ وأحمد المرعشلي وأنيس صايغ وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية**، (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، القسم الأول، ج 4، ص 458.
[55] يوسف حداد، **خليل السكاكيني: حياته، مواقفه، آثاره**، ص 100؛ وخليل السكاكيني، **ما تيسر** (القدس: المطبعة العصرية، 1946)، ج 2، ص 19.
[56] تيسير الناشف، **مفكرون فلسطينيون من القرن العشرين** (الناصرة، يافة الناصرة: دار الطلائع، 1999)، ص 56.
[57] يعقوب العودات، **من أعلام الفكر**، ص 274-275.
[58] خليل السكاكيني، **كذا أنا يا دنيا**، ص 4.
[59] **المرجع نفسه**، ص 26-27.
[60] **المرجع نفسه**، ص 33-34.
[61] شوقي أبو خليل، **بندلي الجوزي في الميزان** (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1993)، ص 78.
[62] بيان نويهض الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، 1917-1948** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1981)، ص 9؛ وعجاج نويهض، "رجل من فلسطين: خليل السكاكيني،" جريدة **القدس**، 1955/7/9؛ وفيليب دي طرازي، **تاريخ الصحافة العربية** (بيروت: دار صادر، 1913)، ج 3، ص 66.
[63] خليل السكاكيني، **كذا أنا يا دنيا**، ص 46.
[64] يوسف حداد، **خليل السكاكيني: حياته، مواقفه، آثاره**، ص 48؛ وشوقي أبو خليل، **بندلي الجوزي**، ص 109.
[65] يوسف حداد، **خليل السكاكيني: حياته، مواقفه، آثاره**، ص 151.
[66] تيسير الناشف، **مفكرون فلسطينيون**، ص 57.
[67] **المرجع نفسه**؛ وخير الدين الزركلي، **الأعلام** (بيروت: دار العلم للملايين، 1979)، ج 2، ص 321؛ وكامل جميل العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس** (عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية، 1981)، ص 59.
[68] يوسف حداد، **خليل السكاكيني: حياته، مواقفه، آثاره**، ص 133. ملاحظة: قصة ليفين الأمريكي واتهامه بالتجسس لصالح أمريكا، ورسائل نائب القنصل الإسباني له بضرورة سرعة المغادرة بسبب شك السلطات التركية به جاسوساً؛ وردت في تقرير آرثر روبين التالي:
Aziz Bek, *Intelligence and Espionage in Syria, Lebanon and Palestine in the World War 1913-1948* (Ramat Gan: Bar-Illan University Ma'arachot, 1991), p. 25ff.

[69] خليل السكاكيني، **كذا أنا يا دنيا**، ص 152.
[70] **المرجع نفسه**، ص 133.
[71] يوسف حداد، **خليل السكاكيني: حياته، مواقفه، آثاره**، ص 54؛ وخليل السكاكيني، **كذا أنا يا دنيا**، ص 156، أسقط النشيد من طبعة 1981، نشر الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين.
[72] خليل السكاكيني، **كذا أنا يا دنيا**، ص 155.
[73] يوسف حداد، **خليل السكاكيني: حياته، مواقفه، آثاره**، ص 54.
[74] خليل السكاكيني، **كذا أنا يا دنيا**، ص 172-173.
[75] **المرجع نفسه**، ص 157، 159-160، 170، 176.
[76] **المرجع نفسه**، ص 173، 176.
[77] **المرجع نفسه**، ص 190.
[78] **المرجع نفسه**، ص 306؛ وتيسير الناشف، **مفكرون فلسطينيون**، ص 57-58.
[79] يعقوب العودات، **من أعلام الفكر**، ص 274-275.
[80] عصام الشنطي، **خليل السكاكيني اللغوي** (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 1967)، ص 25.
[81] عصام الشنطي، **خليل السكاكيني اللغوي**، ص 55-57.
[82] **المجموعة الكاملة لمؤلفات السكاكيني** (القدس: المطبعة العصرية، 1962)، ج 2، ص 94.
[83] عجاج نويهض، "رجل من فلسطين: خليل السكاكيني."
[84] تيسير الناشف، **مفكرون فلسطينيون**، ص 67.
[85] **المرجع نفسه**، ص 66.
[86] خليل السكاكيني، الملف رقم ب/11، سنة 1920–1922، وثائق محفوظة، مركز الأبحاث، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية.
[87] الوثيقة رقم 25، الملف ب/71، مركز الأبحاث، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية.
[88] لمزيد عن أثر مقهى الصعاليك في الحركة الوطنية الفلسطينية انظر: يوسف حداد، **خليل السكاكيني: حياته، مواقفه، آثاره**، ص 68-71؛ وشوقي أبو خليل، **بندلي الجوزي**، ص 12.
[89] يوسف حداد، **خليل السكاكيني: حياته، مواقفه، آثاره**، ص 363.
[90] يوسف أسعد داغر، **الفكر العربي الحديث في سِيَر أعلامه: الراحلون 1800-1955** (بيروت: مطابع لبنان، 1956)، ص 458-460.
[91] عيسى الناعوري، "الإنسان الذي فقدناه، خليل السكاكيني،" جريدة **فلسطين**، الملحق الأدبي، العدد 1062، 1953/8/13.
[92] يعقوب العودات، **من أعلام الفكر**، ص 626-630؛ ومجلة **المقتطف**، المجلد 63، ج 1، تموز/ يوليو 1923، ص 90-91؛ وعلي الطنطاوي، "محمد إسعاف النشاشيبي، أديب العربية الأكبر،" مجلة **المكشوف**، العدد 6، ص 5؛ ومحمد عمر حمادة، **أعلام فلسطين** (دمشق: دار قتيبة)، ج 1، ص 298-315.
[93] تيسير الناشف، **مفكرون فلسطينيون**، ص 22.
[94] انظر الوثيقة CZA. Z4/771/1 المحفوظة في الأرشيف الصهيوني المركزي وكذا الوثيقة CZA. S25/7615 تاريخ 1920م.
[95] تيسير الناشف، **مفكرون فلسطينيون**، ص 19.
[96] دفتر مهمة مكتومة رقم 5، تاريخ جمادى أول 1220هـ - ذي القعدة 1221هـ/1806م - ص 931.
Muhimme Mektum defterleri, no. 5. Sahifa 931
والدفتر نفسه، ص 9؛ وإسحق موسى الحسيني، **هل الأدباء بشر** (بيروت: دار العلم للملايين)، ص 27.

[97] في السجلات الرسمية، ولد محمد إسعاف، سنة 1890، وذكر معارفه ومعاصريه أنّه ولد سنة 1882، انظر: عجاج نويهض، **رجال من فلسطين** (بيروت: مطبعة الكرمل الحديثة، 1981)، ص 17-18؛ وإسحق الحسيني، **هل الأدباء بشر**، ص 72؛ ويعقوب العودات، **من أعلام الفكر**، ص 136-137؛ وخير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج 6، ص 30-31.

[98] كمال الريماوي، "حياة محمد إسعاف النشاشيبي،" ص 29، نشر ضمن كتاب: ياسر أبو عليان وآخرون، **أبحاث عن أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي** (القدس: مركز الأبحاث الإسلامية، مؤسسة دار الطفل العربي، مطبعة المعارف، 1987)، ص 29-46.

[99] **المرجع نفسه**، ص 29.

[100] المرحلة الثانوية تعادل الصف الثالث الإعدادي أي الصف العاشر.

[101] مقالة محمد إسعاف النشاشيبي، انظر: http://diwanalarab.com.article2/68؛ ومحمد حمادة، **أعلام فلسطين**، ج 1، ص 298-299؛ وكمال الريماوي، "حياة محمد إسعاف،" ص 27-30؛ وإسحق الحسيني، **هل الأدباء بشر**، ص 72.

[102] كمال الريماوي، "حياة محمد إسعاف،" ص 30؛ وإسحق الحسيني، **هل الأدباء بشر**، ص 74-75؛ ومحمد حمادة، **أعلام فلسطين**، ج 1، ص 299؛ ومحمد خليل الحسيني، "محمد إسعاف النشاشيبي أديباً كاتباً،" ص 87-99، نشر ضمن كتاب **أبحاث عن أديب العربية**.

[103] المراجع نفسها.

[104] توفي الشيخ محيي الدين الخياط سنة 1914 ولما يتجاوز العقد الرابع من عمره.

[105] انظر: www.diwanalarb.com

[106] كمال الريماوي، "حياة محمد إسعاف،" ص 30.

[107] خليل السكاكيني، **كذا أنا يا دنيا**، ص 382.

[108] كمال الريماوي، "حياة محمد إسعاف،" ص 30؛ ومحمد حمادة، **أعلام فلسطين**، ج 1، ص 299.

[109] إسحق الحسيني، **هل الأدباء بشر**، ص 74-75.

[110] **المرجع نفسه**، ص 76؛ ومحمد حمادة، **أعلام فلسطين**، ج 1، ص 200.

[111] إسحق الحسيني، **هل الأدباء بشر**، ص 76.

[112] عجاج نويهض، **رجال من فلسطين**، ص 56.

[113] إسحق الحسيني، **هل الأدباء بشر**، ص 77؛ ومحمد حمادة، **أعلام فلسطين**، ج 1، ص 301.

[114] كمال الريماوي، "حياة محمد إسعاف،" ص 36.

[115] محمد حمادة، **أعلام فلسطين**، ج 1، ص 301؛ وعبد الرحمن ياغي، **حياة الأدب الفلسطيني** (بيروت: 1968)، ص 168-169.

[116] تحول القصر إلى مركز الأبحاث الإسلامية، التابع لدار الطفل العربي، ويضم متحفاً ومكتبة ذاخرةً بأمهات المصادر ومؤلفات محمد إسعاف النشاشيبي.

[117] كمال الريماوي، "حياة محمد إسعاف،" ص 39.

[118] محمد خليل الحسيني، "محمد إسعاف النشاشيبي أديباً كاتباً،" ص 89-90.

[119] رسالة من إسعاف النشاشيبي إلى رئيس المجمع بتاريخ كانون الأول/ ديسمبر 1923، انظر: مجلة **المجمع العلمي العربي**، ج 11، 12، تشرين الثاني/ نوفمبر وكانون الأول/ ديسمبر 1923، ص 388.

[120] يحيى عبد الرؤوف جبر، "إسعاف النشاشيبي اللغوي،" ص 148، نشر ضمن كتاب **أبحاث عن أديب العربية**.

[121] إسحق الحسيني، **هل الأدباء بشر**، ص 80.

[122] محمد إسعاف النشاشيبي، **الإسلام الصحيح** (بيروت: دار العودة، 1985)، المقدمة، صفحة ج.

[123] محمد إسعاف النشاشيبي، **كلمة في اللغة العربية** (القدس: مطبعة بيت المقدس، 1925)، ص 66-67.

[124] يوسف بن محمد الكافي، **نقض إسلام النشاشيبي الصريح بصريح الأدلة التي يفهمها الأعجمي والفصيح** (دمشق: مكتبة الشرف، 1354هـ/1935م)، ص 9-10.

[125] محمد إسعاف النشاشيبي، **الإسلام الصحيح**، ص 10، 40؛ وحسن عبد الرحمن سلوادي، "إسعاف المفكر الإسلامي،" ص 49-64، نشر ضمن كتاب **أبحاث عن أديب العربية**.

[126] محمد خليل الحسيني، "محمد إسعاف النشاشيبي أديباً كاتباً،" ص 91.

[127] إسحق الحسيني، **هل الأدباء بشر**، ص 80.

[128] محمد إسعاف النشاشيبي، **المبشرين** (مجموعة مقالات حول أغلاط لغوية، نشرت في مجلة **الرسالة** ابتداءً من 1938/10/24).

[129] محمد إسعاف النشاشيبي، **البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي** (دمشق: اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، 1984)، ص 79-80.

[130] محمد إسعاف النشاشيبي، **مقام إبراهيم** (القدس: مطبعة بيت المقدس، 1354هـ/1935م)، ص 24.

[131] محمد حمادة، **أعلام فلسطين**، ج 1، ص 306-307.

[132] محمد إسعاف النشاشيبي، نُقْل الأديب، ص 8، مقالات نشر معظمها في مجلة **الرسالة**، ابتداءً من 1938/10/24 وحتى كانون الثاني/ يناير 1948. انظر تعريف نُقْل الأديب في بند مصنفات النشاشيبي داخل النص.

[133] محمد إسعاف النشاشيبي، **كلمة في اللغة العربية**، ص 21؛ وإسحق الحسيني، **هل الأدباء بشر**، ص 80؛ وتيسير الناشف، **مفكرون فلسطينيون**، ص 24.

[134] خطبة محمد إسعاف في حفل تأبين عبد المحسن السعدون، ألقاها في القدس بتاريخ 1348/7/26هـ الموافق 1929/12/27م بعنوان "العراق في سبيل الحرية"؛ وانظر: محمد إسعاف النشاشيبي، **كلمة في اللغة العربية**، ص 56-57.

[135] محمد إسعاف النشاشيبي، نُقْل الأديب، ص 7-8؛ ومحمد حمادة، **أعلام فلسطين**، ج 1، ص 299.

[136] تيسير الناشف، **مفكرون فلسطينيون**، ص 22.

[137] محمد خليل الحسيني، "محمد إسعاف النشاشيبي أديباً كاتباً،" ص 92.

[138] رشدي الأشهب، "إسعاف في كتابه كلمة في اللغة العربية،" ص 159-174، نشر ضمن كتاب **أبحاث عن أديب العربية**.

[139] **المرجع نفسه**، ص 161-162؛ ومحمد إسعاف النشاشيبي، **العربية وشاعرها الأكبر أحمد شوقي** (القاهرة: دار المعارف، 1928)، ج 1، ص 4.

[140] محمد إسعاف النشاشيبي، وحي الرسالة، ج 3، ص 210؛ ورشدي الأشهب، "إسعاف في كتابه،" ص 162-163.

[141] محمد إسعاف النشاشيبي، وحي الرسالة، ج 4، ص 11؛ ورشدي الأشهب، "إسعاف في كتابه،" ص 164.

[142] محمد إسعاف النشاشيبي، **قلب عربي وعقل أوروبي** (القدس: مطبعة بيت المقدس، 1342هـ/1924م)؛ ومحمد حمادة، **أعلام فلسطين**، ج 1، ص 307.

[143] محمد حمادة، **أعلام فلسطين**، ج 1، ص 303-304.

[144] إسحق الحسيني، **هل الأدباء بشر**، ص 76.

[145] كمال الريماوي، "حياة محمد إسعاف،" ص 42.

[146] محمد إسعاف النشاشيبي، **البستان**، ط 6 (مصر: دار المعارف، 1365هـ/1946م)، المقدمة؛ ومجلة **المقتطف**، القاهرة، المجلد 72، ج 6، 1334هـ/1928م، ص 698.

[147] انستاس الكرملي، مجلة **لغة العرب**، دير الروم الأرثوذكس، القدس، 1922؛ وانظر: تيسير الناشف، **مفكرون فلسطينيون**، ص 32؛ ونقد المحاضرة في مجلة **المقتطف**، العدد 60.

[148] مجلة **المقتطف**، المجلد 63، ج 1، 1923/7/1م الموافق 16 ذي القعدة 1341هـ، ص 90-91؛ ومحمد خليل الحسيني، "محمد إسعاف النشاشيبي أديباً كاتباً،" ص 9، ط القاهرة، المطبعة السلفية، 1341هـ/1923م.

[149] زكي مبارك، نُقْل الأديب، ص 13 (المقدمة)؛ ومحمد خليل الحسيني، "محمد إسعاف النشاشيبي أديباً كاتباً،" ص 91.

[150] ذكر هذه الكتب المخطوطة إسحق الحسيني في كتابه: إسحق الحسيني، **هل الأدباء بشر**، ص 79.

[151] **المرجع نفسه**، ص 80؛ وكمال الريماوي، "حياة محمد إسعاف،" ص 42-43.

[152] كمال الريماوي، "حياة محمد إسعاف،" ص 40.

[153] عجاج نويهض، **رجال من فلسطين**، ص 56.

[154] مجلة **الرسالة**، العدد 761، شباط/ فبراير 1948، ص 129.

[155] http://diwanalarab.com,article2018

[156] تيسير الناشف، **مفكرون فلسطينيون**، ص 19.

[157] المصادر والمراجع التي تناولت سيرة عارف العارف:

عارف العارف، **أوراق عارف العارف: المجموعة الأولى** (بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، الدار العربية للموسوعات، د.ت)، ص 3-5؛ ومرسي الأشقر، **مشاهير الرجال في المملكة الأردنية** (عمّان)، ج 1، ص 93؛ وخير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج 3، ص 245-246؛ وتيسير الناشف، **مفكرون فلسطينيون**، ص 37-55؛ ويعقوب العودات، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين** (عمّان: 1987)، ص 400-403؛ ويوسف أسعد داغر، **مصادر الدراسات الأدبية** (بيروت: مكتبة لبنان، 2000)، ص 1466-1468؛ وفوزي يوسف، "المؤلف عارف العارف ونبذة من سيرته،" عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس** (مكتبة الأندلس، مطبعة العارف، 1380هـ/1961م)، ص 570-572؛ وفريدة العارف العمد، "عارف العارف أباً،" مجلة **التراث والمجتمع**، مركز دراسات التراث والمجتمع، العدد 41، تموز/ يوليو 2005، انظر:
http://www.inash.org/csp/PDF/41/41_4_Amad.pdf

[158] تيسير الناشف، **مفكرون فلسطينيون**، ص 38.

[159] بيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 86.

[160] حسين العودات وياسين الشكر، **الموسوعة الصحفية العربية: سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن** (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، 1990)، ص 45.

[161] بيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 118.

[162] **المرجع نفسه**، ص 121.

[163] تيسير الناشف، **مفكرون فلسطينيون**، ص 41.

[164] عارف العارف، **النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود** (صيدا: منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1956-1965)، ج 1، ص 385.

[165] وثائق محفوظة، ملف ب/VI رقم 25، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت.

[166] تيسير الناشف، **مفكرون فلسطينيون**، ص 42.

[167] عارف العارف، **أوراق عارف العارف: المجموعة الخامسة**، القسم الأول، ص 1187-1188.

[168] عارف العارف، **تاريخ بئر السبع وقبائلها** (القدس: مطبعة بيت المقدس، 1934)، ص 65.

[169] عارف العارف، **أوراق عارف العارف: المجموعة الرابعة**، القسم الثاني، ص 958.

[170] انظر: http://www.albadiaforum.com/showthread.php?t=6374

[171] عارف العارف، **النكبة**، ص 3-5.

[172] **المرجع نفسه**، ص 5.

[173] عارف العارف، **أوراق عارف العارف: المجموعة الأولى**، القسم الأول، ص 7.

[174] عارف العارف، **أوراق عارف العارف: المجموعة الأولى**، القسم الثاني، ص 73.

[175] **المرجع نفسه**، ص 75.

[176] عارف العارف، **أوراق عارف العارف: المجموعة الثانية**، القسم الأول، انظر على سبيل المثال: وسائل تعذيب المحامي بشير، ص 245، والفتى حسن عيسى البطاط، 15 سنة، ص 250، وعبد المطلب أبو ارميلة، ص 263-266، وعبلة شفيق طه، ص 267-268.

[177] عارف العارف، **أوراق عارف العارف: المجموعة الثانية**، القسم الثاني، ص 375-465.

[178] عارف العارف، **أوراق عارف العارف: المجموعة الثالثة**، القسم الأول، ص 477، ويذكر أسماء أصحابها.

[179] عارف العارف، **أوراق عارف العارف: المجموعة الثالثة**، القسم الثاني، ص 657-899.

[180] عارف العارف، **أوراق عارف العارف: المجموعة الرابعة**، القسم الأول، ص 904.

[181] عارف العارف، **أوراق عارف العارف: المجموعة الرابعة**، القسم الثاني، ص 1017.

[182] **المرجع نفسه**، ص 1031-1034.

[183] عارف العارف، **أوراق عارف العارف: المجموعة الخامسة**، القسم الثاني، ص 1265.

[184] عارف العارف، **أوراق عارف العارف: المجموعة السادسة**، القسم الأول، ص 1616.

[185] عارف العارف، **أوراق عارف العارف: المجموعة السادسة**، القسم الثاني، انظر الصفحات: 1629، 1637، 1653، 1657، 1666 وغيرها كثير.

[186] **المرجع نفسه**، ص 1820.

[187] فوزي يوسف، "المؤلف عارف العارف ونبذة من سيرته،" ص 560.

Studies on the Cultural Heritage of Jerusalem

هذا الكتاب

يعدّ هذا الكتاب أحد أبرز إصدارات الحملة الأهلية لاحتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية سنة 2009 . وهو كتاب علمي متخصص شارك في إعداده نخبة من أبرز المتخصصين والمهتمين بالتراث الثقافي للقدس.

يسلط الكتاب الضوء على مدينة القدس بهويتها المعمارية، وأوقافها وممتلكاتها الإسلامية والمسيحية، ومكتباتها ومؤسساتها التعليمية، والدور الحضاري لعدد من أبرز علمائها، وموقعها في الموسوعات العالمية، ويدرس الكتاب دور العثمانيين في الحفاظ على التراث الثقافي للمدينة، وموقف المعاهدات والقرارات الدولية من هذا التراث. ويوضح الكتاب ما تتعرض له المدينة تحت الاحتلال الإسرائيلي من معاناة ومن إجراءات تهويد، كما يعرض للأدوار المأمولة لحماية التراث الثقافي للقدس من العالمين العربي والإسلامي ومن العلماء والأكاديميين ومن مؤسسات المجتمع المدني.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 5034-14 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net